

من

نظام القرآن

تأویل الفرقان بالفرقان

تألیف

المعلم عبد الحمید الفراهی

طبع فی مطبعة معارف أعظم گڑھ

الهند ١٣٤٨ھ

تفسیر
سورة عبس وتولّی

فهرس مطالب الفصول

سورة عبس ٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلّٰى (١) اَنْ جَآءَهُ الْاَعْمٰى (٢) وَمَا يُدْرِيْكَ
لَعَلَّهٗ يَزَّكّٰى (٣) اَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى (٤) اَمَّا
مَنِ اسْتَغْنٰى (٥) فَاَنْتَ لَهٗ تَصَدّٰى (٦) وَمَا عَلَيْكَ
اَلَّا يَزَّكّٰى (٧) وَاَمَّا مَنْ جَآءَكَ يَسْعٰى (٨) وَهُوَ يَخْشٰى (٩)
فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى (١٠)

---

(١) (جملة القول في عمود السورة وموقعها وربطها بما قبلها)

لايخفى ان هذه السورة من النذر وكان الانذار اهم مطالب اول الدعوة و مع ذلك تتنوع وجوه البيان ففي هذه السورة بني الكلام على كف النبيؐ عن اضاعة الوقت بالذين اصروا على كفرهم وعصيانهم ومن ههنا يعطف وجه المقال الى تشنيع هولاء المصرين والى ذكر الدلائل على شناعة استغنائهم والى ذكر مآل امرهم. على طريق المقابلة ذكر الذين هم خلاف هولاء لان الشئ يتبين بضده وليجمع الترهيب بالترغيب ولكي يبين للنبي ان الاشتغال بالمومنين اقدم واولى. وقد ختم السورة السابقة بقوله [انما انت منذر من يخشها] فبين في هذه السورة انك غير مامور بالالحاح على الذين لا يخشون ولما علم الله ان

النبي عليه الصلوٰة لغاية رأفته لايكاد يملك نفسه عن الالحاح اكثر في القرآن من النهي عنه على طرق شتى. ولما ان القرآن ينتظر الوقائع المناسبة لتعليم الامور فاخذ واقعة الاعمى سببا لصرف النبي عن الاصرار الذي لا يليق بشأنه فاخرج الكلام مخرج التنبيه والعتاب بحسب الظاهر. والمقصود ما جاء في القرآن من الامر بالاعراض عن المنكرين وزجرهم وتشنيع امرهم وذلك اسلوب من اتمام الدعوة. ولا خفاء على ما ذكرنا من تاويل هذه السورة عند المتوسم البصير ولكن زل فيه القلم من بعض المفسرين عفا الله عنهم كما سياتيك بيانه في الفصول الآتية فلنقدم قولا وجيزا في عظيم خلق الانبياء، والوجه الصحيح لما يخاطبون به على اسلوب العتاب.

(۲) (في عظيم خلق الانبياء وعصمتهم وموقع العتاب بهم)

قد علمنا بصريح العقل والنقل ان الله تعالى يصطفي للرسالة أكرم الناس واتقاهم كما قال تعالى [والله اعلم حيث يجعل رسالته] وقال في نبينا [وانك لعلى خلق عظيم] اذكر الخبر الذي جاء في الصحيحين عن وزن النبي بمكة وجميع الناس بمكة حتى اذا ربهم اعطى الرسالة ثم بعد اصطفاهم يصرفهم الله كيف يشاء فيهم بهم وينهاهم ويعلمهم ما لم يعلموا فكانهم من اصبعيه ويمشون بين يديه كما قال تعالى [فانك باعيننا] وقال تعالى [فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا] فهذا بيان لنظره الكامل الى رسله وانه تعالى يعصم رسوله عن كل زيغ ويتداركه قبل ان يقع فيه فاذا جرى في سمت خطر لا يمهله الا ريثما يتم فرض نبوته ويفرغ سجل قوته حسب سنة الله وحكمته في خلقه فانه يبتلي عباده ويخرج ما في صدرهم. وعلى هذا فاذا رأى بين يدي

رسوله مشرة نبهه وربما نبهاه بتجهير الصوت واسلوب العتاب اذا وجد انه يذهب غار زاراسه لكي ينتبه ولكي يعلم فظاعة المنهي عنه ولكي يتذكر ان لولا الله لعثر فليشكره ويتذلل امامه ويزداد قربا منه والتصاقا به كرضيع تخوفه امه فيلتصق بلبانها .

فتبين مما ذكرنا ان الانبياء يتقلبون بين حسنيين فان الله تعالى نقاهم عن اوضار الهوى فلا يعدون الا الى مرضاة الله الا انهم ربما يفرطون في جانب نفرتهم ربهم الى حاق الجادة وذلك لان النبي كالاصل لامته كانهم شقوا من نبيهم جبلوا على طبعه وهم مامورون باقتفاء آثاره واقتباس انواره فادنى افراط منه ازاغة بجميع الامة. **واما سبب افراطهم** فلا يخفى انهم لا يعلمون من سرائر الناس نهاية غورها فلا يقطعون الرجاء من اصلاحهم فيجاهدون بهم كطبيب آس وحميم مواس حتى يتبين لهم انهم اعداء الله فحينئذ يتبرون منهم كما اخبر الله عن ابراهيم [فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لحليم اواه منيب] وكذلك ربما يقع ان النبي قد قطع الرجاء لما ظهر عليه من تمردهم ومع ذلك فيهم مطمع كما وقع ليونس وذلك بان الله تعالى وحده عليم بما تكن الصدور فربما يامرهم بالاعراض والاستغناء وربما يثبتهم على المجاهدة بهم **وجملة الكلام** ان الله تعالى يصرف نبيه كيف يشاء فتارة يمنعه عن رحمة وضعها غير موضعها واخرى يثبته على الصبر واحتمال الاذى والعتاب على الاول دليل على كمال رحمته وعلى الثاني دليل على كمال غيرته في جنب الله وهو في كلتا الحالتين برئ عن هوى النفس والزيغ الباطل .

(٣) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١-١٠)

[عَبَسَ] كلح لكراهية امر يبينه [وتولّى] اى اعرض.

[انْ جاءَهُ] اى لان جاءه وهذا ذكر سبب العبوس فان سبب الكراهية

فی ذلک الوقت کان مجیئہ لانفسہ کما ستعلم.

[اَلۡاَعۡمٰی] اتفقوا علی انہ ابن ام مکتوم۔ عبر عنہ بہذا الوصف للدلالۃ علی ضعفہ واحتیاجہ و عدم اطلاعہ علی ما کان فیہ النبیؐ من الشغل، و ما کان یقتضی الحال.

[وَمَا یُدۡرِیۡکَ لَعَلَّہٗ یَزَّکّٰۤی] مفعول [ما یدریک] محذوف و اقیم مقامہ [لعلہ یزکی] لدلالۃ علیہ بالمقابلۃ کما فی قولہ تعالیٰ [وما یدریک لعل الساعۃ قریب] ای ما یدریک ان الساعۃ بعید فلعلہا قریب وکذلک قولہ تعالیٰ [وما یدریک لعل الساعۃ تکون قریبا] فتاویل الآیۃ۔ کیف العلم بک انہ لم یجی لما یسترک من التزکی او التذکر حتی استحییت من الکفار ان یقولوا انما یتبعہ العبیان و ضعفاء الناس لسفاہۃ عقولہم او لما یطمعون من محمد لرحمۃ بہم او کیف نتبعہ حتی نکون معہم کما جاء فی القرآن کثیرا فی ذکرا قوالہم. وہذا صریح فی ان النبیؐ لم یعلم من الاعمی انہ جاء للتزکی او التذکر و انما کان سبب الکراہیۃ محض مجیئہ الذی کان مظنۃ لما ذکرنا. واما ما روی انہ سأل النبی ان یعلمہ القرآن فتولی عنہ فغیر ثابت من طریق الروایۃ فکیف والقرآن صریح فی خلافہ وسیاتیک بیانہ.

قولہ [یزکی] ای یتطہر من صحبۃ النبی ووعائہ فتقبل توبتہ و یصلح بالہ.

[یَذَّکَّرُ] ای ینتفع بما یسمع من القرآن وعظۃ النبی.

[اسۡتَغۡنٰی] ای عن التزکی و التذکرۃ و الانابۃ و الخشیۃ کما دل علیہ ما قبلہ و بعدہ بالمقابلۃ فاکتفیٰ بہ.

[تَصَدّٰی] اصلہ تتصدد من الصدد وہو القبالۃ یقال داری بصدد دارہ۔

تصدی ای تعرض وہو ضد تولی

[وَمَا عَلَیۡکَ اَلَّا یَزَّکّٰی] ای لیس علیک باس او حرج او لوم من عدم طلبہ للتطہر.

[يخشى] اريد به الجئ بالشوق على سبيل الكناية وليس المراد به الاسراع بالقدم لدلالة الموقع وكما يبينه قوله [وهو يخشى] وهذا مثل مامر فى قوله تعالى [فاسعوا الى ذكر الله]

[يخشى] جامع عام لاطلاقه وفيه النظر الى يوم القيامة لما مر فى السورة السابقة [انما انت منذر من يخشاها]

[تلهى] اى تتلهى - تلهى عنه اشتغل عنه من قولهم الهانى عنه ذلك اى شغلنى عنه فما اعتنيت به قال عقبة بن بجير

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهنى عنه غزال مقنع

(۴) (موقع هذه الآيات وتصوير قصتها).

موقع هذه الآيات منع النبى صلى الله عليه وسلم عن اضاعة الوقت بالمصرين على الكفر وحثه على التزام المومنين وبيان ذلك ان الله تعالى امره بتقديم الدعوة لرؤساء قومه الذين كانوا ذوى الرياسة الدينية وبالاعراض عنهم اذا تبين اصرارهم على الكفر وبالتزام من تبعه من الناس . كما قال تعالى [وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين .] فاشتغل النبى بدعوتهم وقد رأى منهم شدة الانفة والكبرياء ، وكان من شدة رحمته يصبر على ذلك ويرجو ان ينتفعوا بالعظة فكان كلما زادوا لجاجا زاد الحاحا ، رحمة بهم وشفقة عليهم وايفاء بفريضة الرسالة العظمى الخاتمة المتمة ورجاء ان يعز الاسلام بايمان الاقوياء ذوى الباس والنجدة وقد صدق ظنه بايمان ابى بكر وعمر وحمزة وآخرين من السابقين الاولين وخوفا من ان يكون قد قصر من الجهاد والصبر فى ما فرض عليه ولكن لما كان فى ذلك لبعض شغل عن الذين هم احق بعنايته وتنزل عن سمو محله

فان الله تعالیٰ لم یامره بالخضوع بل ارسله بالعز الشامخ والشرف الباذخ
فکان الله تعالیٰ کثیرا ما یصرفه عن الاسف لهم والالحاح علیهم الی الاشتغال بالصالحین
کما قال تعالیٰ [لعلک باخع نفسک علی آثارهم ان لم یؤمنوا بهذا الحدیث اسفا] و
کما قال تعالیٰ [واصبر نفسک مع الذین یدعون ربهم بالغداة والعشی یریدون وجهه
ولا تعد عیناک عنهم ترید زینة الحیوٰة الدنیا (ای اهل العدة والعدد کما قال تعالےٰ
المال والبنون زینة الحیوٰة الدنیا - فان العزة لله تعالیٰ) ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذکرنا واتبع هواه وکان امره فرطا . وقل الحق من ربکم فمن شاء فلیؤمن ومن شاء
فلیکفر] وکما قال تعالیٰ [فتول عنهم فما انت بملوم] ای لا لوم علیک ان لم یؤمنوا
فانک قد اوفیت بما کان یجب علیک ومثله کثیر ومما ذکرنا یتبین ان الله تعالےٰ
کلما وجد نبیه قد غلا فی هذا المنهج اوحی الیه بعض ما یصرف عنانه الی التوسط حتی وقعت
هذه قصة عبد الله بن ام مکتوم والوحی ینتظر لوقائع المناسبة فجعلها الله سببا لزجر
الاغنیاء ومدح الفقراء وتطییب المنکسری القلوب بابلغ ما یکون من اسالیب الکلام
فانزل علی نبیه ما کان غایة فی التنبیه علی افراطه فی الدعوة والزجر للمصرین علی کفرهم و
صورة الواقعة انه لما جاء الیه ابن ام مکتوم خاف النبی ان یقولوا انما یتبعک
العمیان والضعفاء لما تعنیهم تقصر عقولهم افترید ان تخلطنا بهم کلا لن نتبعک ابدا الا
ان تطرد هؤلاء فانهم لیسوا باکفائنا . وقد صرحوا بذلک کما حکی الله تعالیٰ عنهم [قالوا
انؤمن کما آمن السفهاء] وکما فصل ذلک حیث قال تعالیٰ [وانذر به الذین
یخافون ان یحشروا الی ربهم لیس لهم من دونه ولی ولا شفیع لعلهم یتقون . ولا تطرد
الذین یدعون ربهم بالغداة والعشی یریدون وجهه . ما علیک من حسابهم من شیئ
وما من حسابک علیهم من شیئ فتطردهم فتکون من الظلمین . وکذلک فتنا بعضهم
ببعض لیقولوا اهؤلاء منّ الله علیهم من بیننا الیس الله باعلم بالشاکرین . و

اذا جاءک الذین یومنون بآیتنا فقل سلٰم علیکم کتب ربکم علی نفسه الرحمة، انه من عمل منکم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحیم.] وقال تعالی [فاصدع بما تومر واعرض عن المشرکین. انا کفیناک المستهزئین. الذین یجعلون مع الله الٰها اخر فسوف یعلمون. ولقد نعلم انک یضیق صدرک بما یقولون.] وممّا یخاف من مجیٔ عبدالله بن ام مکتوم فی ذلک المجلس ان یذل اصحابه فی عیون المتکبرین فان النبیؐ لسعة جوده ورافته بالناس کان یحفظ الضعفاء والنبیؐ من شدة غیرته وحیاءه لم یکن لیرضی بما یطعنون فی اصحابه الذین آمنوا ابتغاء وجه ربهم لا لطمع دنیوی فلما وقع هذا الامر حان ان یبین الله لنبیه انه قد بلغ من الغلو فی الدعوة ما لا ینبغی له واخرج الکلام مخرج العتاب حسب الظاهر ولکنه فی الحقیقة زجر للکافرین وثناء علی النبیؐ وتطییب لقلوب المومنین. والنبی فی هذا الخطاب شبه مثل راع صالح خرج فی طلب خروف سمین شرید حتی ذهل ساعة عن قطیعة الصالحة التی تتبع اثره وتسمع نداءه فان لم یکن هذا الشرید اجدر برأفته من سائر الغنم فالذنب له لا للراعی الشفوق فان خاطبه مالک الغنم لعنایته. مالک قد ضربت صفحًا عن القطیعة الصالحة وتهالکت علی خروف غیر طائل دعه یاکله الذئب فانه اولی به. علم کل ذی عقل ان هذا العتاب وان کان بحسب الظاهر متوجها الی الراعی ولکنه فی الحقیقة سخط بالخروف الاحمق ومدح للقطیعة الصالحة ودلیل علی شدة رأفة الراعی وغلوه فی الرأفة بالکل وهذا المعنی مع ظهوره ودلالة ما فی الکلام علیه قد التبس علی بعض المفسرین فتوهم اوهاما تحالفها نفس هذه الآیات والآن نبین ذلک بتوفیق الله تعالی.

(٥) (ازاحة باطل توهموه فی القصة وفی وجه العتاب)

روى عن مجاهد قال - كان النبي ص مستخليا بصنديد من صناديد قريش وهو يدعوه الى الله وهو يرجو ان يسلم اذ اقبل عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فلما راه النبي ص كره مجيئه وقال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس فنزل الوحي عبس وتولى الى آخر الآية - فهذا تاويل مجاهد هو الظاهر من القرآن كما قدمناه في الفصل السابق ولكن آخرين توهموا في القصة ان ابن ام مكتوم جاء الى النبي وسأله الرشد والتعليم فاعرض عنه فعاتب الله النبي ص ونسبوا هذا القول الى المشاهير من السلف فمنهم من روى عن عائشة رض ان ابن ام مكتوم قال للنبي ارشدني وعنده رجل من عظماء المشركين ومنهم من يروى عن عائشة رض ان النبي ص كان في مجلس من وجوه قريش منهم ابوجهل وعتبة بن ربيعة. ومنهم من يروى عن ابن عباس انه كان يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب واباجهل بن هشام فجاءه ابن ام مكتوم يستقرءه آية من القرآن وقال علمني مما علمك الله فاعرض عنه وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه. ومنهم من يروى عن الضحاك ان النبي ص لقي رجلا من اشراف قريش فاتاه ابن ام مكتوم فجعل يسأله عن اشياء من امر الاسلام ومنهم من يروى عن عائشة رض انه اتى النبي ص وعنده عتبة وشيبة ومنهم من يروى عن ابي مالك انه كان يتصدى لامية بن خلف ومنهم من يروى عن انس رض ان ابن ام مكتوم جاء الى النبي ص وهو يكلم ابي بن خلف فاعرض عنه ولا يخفى ان هذه الروايات كلها تنتهي الى الذين لم يكن احد منهم شهد الواقعة فلو صحت لم يكن الا استنباطا لا خبرا والظاهر من اختلاف هذه الروايات انها ظنون واوهام ناشئة مما توهموا من التاويل فوضعوا القصة وخبرا افتراء على من اسندوها اليه فكيف يوثق بها واسانيدها ضعيفة جدا والقرآن ظاهر الدلالة على كذبها وذلك بوجوه :-

الاول ان الآية لاتقول انه عبس من الاعمى او عبس فى وجهه كما قيل وبل تحس
الاعمى بالتعبس انما تعبس على مجيئه الذى كان مما يطلق السنة هولاء المفحمين فيجدون
للقال مجالا ولم يكن لهم ان يلبسوا الكلمة حين كان يقرعهم بالدلائل الواضحة على
التوحيد والمعاد وترك الانداد كما جاء فى السورة وهى الامور التى كان يدعو
اليها حين نزول السورة .

والثانى ان قوله تعالى [وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى]
صريح فى انه عليه الصلوة لم يعلم ان الاعمى جاء اليه ليطهر قلبه او ينور عقله بالذكر.
فان النبى لو علم بذلك لالتفت اليه بالبشاشة فكانه قيل له. لقد ضقت ذرعا بان
جاءك بما تكرهه وما يدريك ذاك لعله جاء بما تقربه عينك. وبالجملة فالقرآن يابى
ان يكون النبى قد علم بان الاعمى جاء لامر دينى من التزكى او التذكر ثم عبس له.

والثالث ان قوله تعالى [وما عليك الا يزكى] صريح فى ان النبى كان
قد غلا فى امر الدعوة كانه قيل له ليس عليك حرج لاجل انهم لا يتزكون حتى لاتزال
بهم الى ان يؤمنوا فيتزكوا ولذلك نظائر كثيرة مثلا قوله تعالى [لست عليهم بمصيطر]
وقوله تعالى [فتول عنهم فما انت بملوم] وقوله تعالى [فان تولوا فانما عليك البلغ
المبين] واسلوب هذا القول ظاهر فى التخفيف عن النبى ما تحمل من المجاهدة
بالمنكرين وذلك بمعزل بعيد عن حقيقة العتاب الذى يخشى لو اعرض النبى استحقارا
لمومن ضعيف كما توهموا. وهذا الكلام بعد قوله تعالى [اما من استغنى فانت له
تصدى] يبين ان تصديه كان من ولوعه بالدعوة لا لاستكبار فى نفسه من الضعفاء
والرابع ان ما بعد هذه الآيات وهو قوله تعالى [كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره]

يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى] يبين ان هذا التلهي والتشاغل لم يكن ما ينبغي لقدر نبيه الكريم وكتابه العزيز كما سيأتيك بيانه

والخامس انه ليس ههنا موقع للعتاب الحقيقي على تسليم ما رووه من ان الاعمى كلم النبي يستقرئ القرآن او يسأله الرشد او عن اشياء من امر الاسلام كما تبين مما نذكره في الفصل الآتي وبالجملة اذا نظرت في نفس هذه الآيات وما قبلها وما بعدها تبين لك ان الكلام ليس الا لتعليم النبي الاستغناء والترفع حسبما يليق بعزته وعزة دعوته. واسلوب العتاب ههنا ابلغ ما يكون في منعه عن الافراط في اداء فريضة الدعوة وفي تطييب نفسه ونفوس الضعفاء من المؤمنين وفي زجر الاغنياء من المتكبرين كما سيتضح كل الاتضاح من النظر فيما يتلو من باقي السورة .

(٦) (ازاحة باطل اكبر مما سبق)

بعد ما تبين التأويل الصحيح الصريح لم تبق حاجة الى ذكر ما بني على محض التوهم لكن اردنا ان نريك شناعة ما يجر اليه الاعتماد على الروايات الباطلة لتكون على حذر منها فاعلم ان الامام الرازي قد تفطن بان ههنا لم يكن موقع للعتاب. فاجتهد للجواب فقال ما خلاصته كيف عاتب الله رسوله على ما صدر منه فان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فانه وان كان اعمى ولكنه كان يسمع مخاطبة النبي اولئك الكفار فعرف شدة اهتمام النبي بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي والقاء غرضه في البين ايذاء للنبي وذلك معصية ثم ان الاهم تقدم وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه اما اولئك الكفار فيكون اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فاقدم ابن ام مكتوم على ما يكون سببا لقطع الخير العظيم. ثم انه تعالى قال [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون] فنهاهم

عن مجرد النداء في غير وقته فهذا انداء ابن ام مكتوم الذي كان كالصارف عن اعظم
مهات النبي اولى بان يكون ذنبا ثم من الظاهر ان النبي كان ماذونا بتاديب
اصحابه وكان يزجرهم عن اشياء فكيف عاتبه الله على ماكان ماذونا فيه. قال رحمه الله
فهذا جملة ما يتعلق بهذا الموضع من الاشكالات ثم قال رحمه الله ما خلاصته ان الجواب
من وجهين الاول ان الامر وان كان على ماذكرتم الا ان ظاهر الواقعة يوهم
تقديم الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب حصلت المعاتبة اقول وهذا الوجه سليم
من القبح ولكنه ضعيف فان الله تعالى اعلم بالسرائر ولا يعاتب الا للنبي فهل نهى
النبي عن تاديب اصحابه كما ذكر في السوال وهو ماذون فيه. قال والثاني ان
العتاب لعله لم يقع على ما صدر من الرسول من الفعل الظاهر بل على ان قلبه قد
مال اليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم وكان ينفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه
وعدم قرابته وقلة شرفه (رحم الله الرازي كانت ام مكتوم خالة خديجة رض وناهيك
به شرفا وقرابة لانبه) فوقعت المعاتبة لا على التاديب بل لاجل هذه الداعية
اقول وهذا الوجه في غاية الشناعة اتيتفر النبي عن الاعمى لعماه بل هو اولى بالرحمة
والاسى. لعمرك هذا البعيد عن مومن فكيف بنبي. فانظر كيف اهتدى الرازي رحمه الله
اولا لما هو الحق الصريح وهو ان هناك لا وجه للعتاب على النبي ولكن اعتماده
على الروايات الضعيفة اورده هذا المورد الشنيع فلئن نزه جانب الرب
تعالى عن العتاب في غير محله فقد دنس جانب رسوله بما نسب اليه واقله
لا يظن بخلقه العظيم. وبالجملة فالقرآن وموقع الكلام واحوال النبي كلها يبطل ما
توهموا من التاويل وذكروا من الروايات الباطلة الضعيفة.

(٧) (نظم هذه الآيات بما يتبعها)

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥)
كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُ (١٧)
مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩)
ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ (٢٢)

لما كان موقع هذه الآيات تنبيه النبي على علو منصبه لكيلا يتنازل الى الالحاح بالذين اظهروا الاستغناء حتى يشتغل عن الذين يبتغون وجه ربهم اكد هذا الامر ببيان علو ما انزل اليه ليعلم ان الاستغناء عن هولاء هو الانسب فقال عز من قائل حكيم:

(٨) تفسير الكلم وتاويل الجمل فى آيات (١١-٢٢)

[كَلَّآ] تاكيد لما تقدم من الانكار على غلو النبي فى الدعوة ومن تعليم الاستغناء كانه قيل — لا يليق بك ان تلح عليهم بهذا الالحاح — كما يبينه ما بعده.
[إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ] الضمير راجع الى ما تقدم من كلمة [ذكرى] والمراد بها القرآن وآياته وتلاوته وانما اختار الضمير المونث لرعاية ما سبق من كلمة الذكرى وما لحق من كلمة التذكرة. والجملة موقعها ذكر الدليل لما دل عليه كلمة [كَلَّآ] من تعليم الاستغناء.
[فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ] اى ذكر ما تليت عليهم من التذكرة واختار الضمير المذكر لما يتبادر اليه الفهم من المراد به وهو القرآن. وموقع الجملة بيان قوله تعالى [انها تذكرة] اى القرآن محض البلاغ والتذكر ليس فى شئ من الاكراه والالحاح كما جاء كثيرا فى القرآن، وفى هذه الجملة ايجاز. كما دلت عليه بالمقابلة اى فمن شاء ذكره

ومن شاء لم يذكره وربما يصرح به كما في قوله تعالى [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر].

[صُحُف] الصحف جمع صحيفة وهي الورقة المكتوبة كما سميت صحيفة المتلمس وصحيفة الجور ولعل الكلمة مقلوبة من الصفيحة لكل عريض كصفيحة الحجر والسلف والعنق. وبصيغة الجمع ربما يراد بها الكتاب لاشتماله على الاوراق كما في قوله تعالى [رسول من الله يتلو صحفا مطهرة] قوله تعالى [في صحف] اي هو في صحف وموقع الجملة بيان اوصاف ما تقدم و حذف المسند اليه في ذكر الاوصاف التابعة هو الاسلوب المعروف وقد جاء في القرآن كثيرا وذكرنا الشواهد فلا نعيدها ههنا. وهذه الاوصاف صريح الدلالة على ما ذكرنا من التأويل من ان منزلة القرآن ارفع جدا من ان تعرضه على هولاء بهذا الالحاح فهذه الجمل تاكيد لما دل عليه ما سبق من الاستغناء وموقعها ذكر الدليل على لزوم الاستغناء. كما قال تعالے [فتولوا واستغنى الله]

[مَرْفُوعَة] كلمة جامعة لمعنى العلو والمنزلة كما قال تعالى [وانه في ام الكتب لدينا لعلي حكيم] وايضا كما قال تعالى [والقرآن المجيد] وهذان الوجهان بيان جانب من صفة [مكرمة]

[مُطَهَّرَة] هذه الصفة ايضا تبين جانبا من صفة التكريم. اي لا تصل اليه ايدي الشياطين والسفلة من الارواح كما قال تعالى [في كتب مكنون لا يمسه الا المطهرون] وكما قال تعالى [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] ويشبهه [كتب عزيز]

[سَفَرَة] هي جمع سافر للكاتب والقاري من السفر للكتابة والقراءة وهذه الكلمة باقية في العبرانية واصل معناها النقش ومنه الكتابة فان الكتابة كانت اولا بالنقش بقلم الحديد ثم توسع للبيان والقراءة. في العبرانية- ספר (سفر) النقش والكتابة والقراءة- סֹפֵר (سافر) كاتب فقيه امام قائم. فصح ما قال قتادة- هم القراء وروى ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء. ويوجد في العربية ايضا

بمعنى الخنس كما قال رؤبة

تسفير موسى الصلح الكلام

وهكذا السفر في العربية مادة كتب في اصل معناها كما مر.

[كِرَامٍ] اى جديرين باحتمال هذه الامانة فلا يخونون فيها شرا منهم.

[بَرَرَةٍ] جمع البار المطيع والموفي بذمته بهذا اكيد تحفظهم هذه الامانة كما قال تعالى [نزل به الروح الامين] وكما قال تعالى [انه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم امين] ومفاد هذه الجمل بيان رفيع منزلة هذه القرآن ليتبين انه لرفعة منزلته وقدسه ليس مما يعرض بهذا الامحاح على هولاء. وهذه الآيات تتضمن امرا عظيما من وصفه وهو انه مكتوب عند الله ومقرر ومحفوظ من كل ريب وشوب. واعلم ان المراد من الرفع والتطهير والصحيفة امور السماء الاعلى وقد فهمنا المعاد كما بينا واما تاويلها وتعيينها وتصويرها فكما يليق بذلك المكان الاعلى.

[قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره] [الانسان] كثيرا ما يراد به الاكثر منهم وهم الكفار فاما ان يكون اللام للعهد واما ان يكون الحكم على النوع حسب اكثرهم كما قال تعالى [ان الانسان لظلوم كفار] ومثله كثير. [قتل] منقول عن الحقيقة فانما يراد به اظهار السخط و[ما اكفره] بيان سبب هذا السخط والانكار على مسلكه.

[مِن أيِّ شيءٍ خلقه] استفهام تحقير وتمهيد لما بعده من ذكر حالة الانسان

[نُطْفَة] ماء قليل ترشح كما قال ابو صعترة البولاني

فما نطفة من حب مزن تقاذفت به جنبتا الجودي والليل دامس

وكما قال تعالى [ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين] ففي نفس هذه الكلمة ابطال ما استبعده من البعث فان اول الخلقة جمع من مواضع شتى كما قال تعالى [ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون]

[فقدّره] ای قدر اعضاءه وقواه کما شاء ومفاده بیان عجزه وکمال تصرف ربه فیه کما قال تعالی [فی ای صورة ما شاء رکبک] وفیه ایضا بیان نعمة الرب علیه لما جعله بهذا التقدیر احسن خلقه کما قال تعالی [وصورکم فاحسن صورکم] وتفصیله فی تفسیر سورة والتین.

[السّبیل] اللام فیه للعهد ای السبیل الذی یسلک فیه باستعمال ما قدر فیه من الاعضاء والقوی فهداه لاستعمالها وهیأ له الاسباب کما قال تعالی [الذی خلق فسوی. والذی قدر فهدی.] وکما قال تعالی ذکرا من قول موسیٰ [ربنا الذی اعطی کل شیٔ خلقه ثم هدی] وقد علمنا من القرآن والفطرة ان الله تعالی هدی الانسان وبین له الخیر والشر ولم یکرهه من قبل بهذا ولا الدراک کما قال تعالی [فجعلنه سمیعا بصیرا. انا هدینه السبیل (ای سبیل الخیر لدلالة المحل) اما شاکرا واما کفورا.] وکما قال تعالی [ونفس وما سوٰها. فالهمها فجورها وتقوٰها. قد افلح من زکٰها وقد خاب من دسٰها.] وقد علمنا من القران وصحیح الخبر وصریح العقل ان التیسیر یاتی من الرب تعالے حسبما یختار الانسان لنفسه من سبیلی الخیر والشر کما قال تعالی [فاما من اعطی واتقی وصدق بالحسنی فسنیسره للیسری. واما من بخل واستغنی وکذب بالحسنی فسنیسره للعسری.] فالتاویل ان الله تعالی بعد ما خلق الانسان والهمه الخیر والشر لم یکرهه بل یسر له ما اختار لنفسه فجعل اعضاءه وقواه والاسباب طوع ارادته. وهذا من اکبر النعم کما هو مبسوط فی موضعه.

[فاقبره] قبره دفنه واقبره جعل له قبرا

[انشره] نشره بسطه وبثه والافعال للمبالغة ای اقامه سویا بعد ما کان منبوذا خامدا.

(١) نظم هذه الجملة في نفسها وبالسابق واللاحق

بعد ما بين علو منزلة هذا القرآن وترفعه عن المتدنسين اكد شناعة استغناء الانسان عن هذه النعمة العظمى بذكر كمال عجزه بجنب كمال قدرة الرب تعالى عليه وكذا بين شدة شناعة كفرانه بذكر كمال نعمة ربه. ولما تضمن هذا البيان وجوب الايمان بقدرته والشكر لنعمه اتبعه قوله [ما اكفره] اي ما اكبر تكذيبه وكفرانه هذا. واعلم ان قوله تعالى [من نطفة الى قوله [فاقبره] جامع لبدء حالة الانسان ووسطها واخرها فاما بدؤها فانه مخلوق من ماء قليل ترشح بتقدير الرب الحكيم من اطراف الجسم وهذا مفهوم من كلمة نطفة كما مر ثم جرى عليه تصرف الرب فهذا بدؤها واما وسطها فانه لا يقدر على شئ مما يريد في تقلباته الا بتيسير الرب تعالى وفي هاتين الحالتين ظهور قدرة الرب ونعمته عليه واما آخرها فانه اماته واقبره وفيها ظهور كمال عجز الانسان وكونه بالكلية تحت قدرة ربه ثم بعد ذكر هذه الاحوال الدالة على الربوبية والقدرة تبين لزوم البعث للجزاء الذي هو مقتضى ماسبق من دلائل كونه مصنوعا وميسرا في تقلباته في هذا العالم وذكر من احوال الانسان ما يكون بعد هذه الحيوة والممات من النشور الى ربه والآن فتامل كيف دل على عجز الانسان وفقره الى ربه من اول امره الى يوم نشره فما ابعد حاله عن الاستغناء والاعراض عما انزل اليه ربه من الذكر وهو احسن ما يسر له والنعم به عليه مع انه مخلوق ومتصرف فيه راجع الى مولاه القادر الحكيم فبعد ما ذكر هذه الدلائل التي في نفسه اعقبها مثلها مما يرى فوقه وتحته وحوله من الدلائل على كونه عبدا مربوبا مرزوقا ليبين شناعة عصيانه وفجوره كل البيان فقال عز من قائل حكيم -

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤)
أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَ
حَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)

(١٠) تفسير الكلم وتاويل الجمل فى آيات (٢٣-٣٢)

[كلا] زجر على استغنائه وعصيانه كما يبينه ما بعد ذلك

[لما يقض] اى هو مستمر فى عصيانه الى الآن.

[ما امره] عام لما الهم فطرة من الشكر لربه والمواساة بالخلق ولما انزل اليه بواسطة الرسل من الاوامر والنواهى

[أنا] موقع الجملات التالية موقع البدل من الطعام اى فلينظر الى هذه الامور.

[صببنا الماء صبا] اى انزلنا ماء كثيرا كما قال تعالى [وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا]

[وشققنا الارض شقا] بيان جامع لاربعة معان، ١ لما نفتح الارض افواهها فتشرب الماء فتفيه ولما ٢ جعل الله فى الارض من الانهار والجور ويؤيده نهره فقه وبحره شقه. ولما ٣ تنشق الارض بالنبات فيخرج منها ازواج شتى. ولما ٤ يشقها الحراثون. وكل هذه المعانى مناسبة ههنا فاتى بكلمة جامعة.

[قضبا] القضب نبات يوكل ناعما خضرا ولذلك تسمى الرطبة قضبا وهو بالفارسية اسپست. من قضبه قطعه بصوت مشابه تبلفظ حروف قضب ويشبه لفظ المصنع و القضب جامع لكل ما يوكل رطبا.

[حَدَائِقَ] جمع حديقة للروضة المحاطة وتطلق على الاشجار ايضا كالنخل والشجر.

[غُلْبًا] جمع اغلب لغليظ العنق و وصف الحدائق بالغلب اما على كون المراد بالحدائق الاشجار كما ذكرنا واما على وصف الشئ بوصف متعلقة كما هو الاسلوب الشائع في العربية اى غلب الاشجار والاول هو الظاهر لان سائر ما ذكر كلها من النبات ولان الفعل المتقدم هو انبتنا .

[أَبًّا] الأَبّ العشب والمرعى من اب يؤب اَبًّا وابابا وابابة نشأ وطلع وهى مادة قديمة جرى فيها تصرف اللسان فنجدها فى صورتين ثابتة مثلا أَمَّ وهَمَّ وهَبَّ وتأهّب فاب صورة اخرى لهب ولذلك نظائر مثلا هَزّ وأَزّ واراق وهراق قال الاعشى ع - اخ قد طوى كشحا وأَبّ ليذهبا . اى هب وهم . وانما سمى المرعى أَبًّا لنشئه اولا بعد المطر ومنه اَبَانَ النبات . لاول خروجه ثم توسع فقيل ابان الشباب لمناسبة ظاهرة ثم ابان كل شئ اول وقته. يقال كل الفواكه فى اِبّانها.

فـ١ـ وتوهم الجوهرى وغيره فجعل الابان فعّالا من مادة ابن ولا مناسبة بينهما فان ابنه لشئ اتهمه به من الابنة وهى العقدة فى العود . وانما هو فعلان من اب لما يدل عليه المناسبة بينهما ولما تجد هذه المادة بهذا المعنى فى العبرانية وهى اخت العربية אבב (ابب) אב (اب) الخضرة والثمرة אביב (ابيب) السنبلة الخضراء و اول شهورهم وهو الربيع لظهور النبات فيه اولا.

فـ٢ـ ومما ذكرنا تبين ان هذه المادة مما عرفته العرب وانما قل استعمالها فى اشعارهم مخافة مرادفاتها ولكن اذا اريد استعمال كلمة جامعة وحسن موقعها لم تترك بل تكون احسن من غيرها . وحسن موقعها ههنا غير خفى ويأتيك زيادة البيان فى الفصل التالى . فهذا فلا يصح ما يروى من ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما اعترفا بجهلهما به . اول هذين الخبرين منقطع والثانى مضطرب . واليقين

بعضها من وجوه : الاول ان هذه السورة مكية والصحابة اهم شغلهم تلاوة القرآن فكيف لم يسألوا النبي عن معنى كلمة مع طول مدة الصحبة وكيف لم يعلمهم النبي اياها كان القرآن مذهولا عنه حتى اذا توفي النبي فقرؤه اطلعوا على عدم علمهم بهذه الكلمة وانتبهوا فاعترفوا بجهلهم بها- والثاني انا نجد القرآن اسهل وابين لسانا من عامة اشعارهم وخطباتهم وكانت قريش حكامون على الشعراء في عكاظ و كان ابوبكر من رؤسائهم وخطبائهم وكان عمر لسان قريش وسفيرهم فلا بد ان يكونا اعلمهم بصروف الكلام وقد علمنا كثيرا من انتقاد عمرؓ ما يدل على علو محله في علم اللسان العربي والثالث ان القرآن انما انزل بلسانهم عربيا مبينا ليدعى به الناس ويعقلوه كما قال تعالى [وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه] وقال تعالى [انا جعلنه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون] والرابع ان الوضاعين لم يذكروا ذلك الا عن اكبر الصحابة واعلمهم ونعلم لشدة حق مبغضيهم واهتمامهم بالطعن فيها.

[متاعا] المتاع مصدر ثم اسم لما يتمتع به ومنه للسلعة والمتاع يتضمن قلة المدة فربما يوكد بالتصريح بها وربما يكتفى بما يفهم منه كما قال تعالى [متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم] اى تمتع لمدة قليلة. والشواهد على ما ذكرنا كثيرة وقوله تعالى [متاعا لكم] سائغ أن يكون مصدرا كما في قوله تعالى [يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى] وعلى هذا اتاه ولد لاجل ان نمتعكم بها. وأن يكون حالا اى وهذه متاعا لكم ومآل التاويلين واحد والاول ادل على الربوبية والانعام لصراحته دلالته على ارادة الرب ان يمتعهم.

(١١) (نظرة في نظم ما ذكر من اسباب الطعام والمتاع)

نوجهك الى اشتمال هذه الآيات في ثلاث سور سابقة فان هذه السور الاربع

متشابهات فی مطالبها. ولکل موقع اسلوب جدید من الایجاز والتفصیل والترتیب فان الکلام ذو افانین ونذکر ههنا ما یلیق بهذا المقام فاعلم ان فی هذه الآیات تقدیم الاقدم فالاقدم واختیار التفصیل والاستقصاء مع الایجاز وبیان ذلک انه تعالی ذکر اولاً ما یسقی کثیرا وهو سریع الاخراج برزقه فلولا صب الماء الکثیر من السماء لم یحصل للانسان ما هو اکبر قوام عیشه وذلک ثلثة اصناف حب وثمر وما یوکل رطبا من الخضراوات والبقول. فقدم الحب لکونها اکبر الطعام واجمع لما یعیش به الانسان واعظم الغلات المدخرة ثم ذکر العنب وهو راس الاثمار ثم هو ما یدخر ذبیبا ویشرب نبیذا طیبا. وقد عرفت العرب ذلک فقال اعشی قیس ؎

فاروی الزروع واعنابها   علی سعة ماؤها اذ قسم

فذکر الزروع ثم العنب وذکر سقیها اتماما لما یجمعها من لزوم الاهتمام لها ثم ذکر القضب وهو جامع لکل ما یوکل رطبا کما قال تعالی [لنخرج به حبا ونباتا] فاکمل هذا النوع الکثیر السقی السریع النفع. وذکر ثانیا ما هو بطیء الاخراج باکله ویسقیه السماء وذلک قسم الاشجار کلها فقدم الزیتون لکونه مبارکا ولکونه اخص الغلات کما سنذکر ثم ذکر النخل و ... للعرب قوام ولذة معا فوجبهم وغبهم تم ا ل هذا النوع بما یستو فی اشجار الثمر الغلاظ الجذوع. ویشبه ما ذکرنا ما جاء فی التوراة فانها تذکر من غلات الارض الحب والعنب والزیتون (تثنیه ص۲۲ ف ۱۹-۲۱) ایضا ص۲۳ ف ۳۸-۴۰) وانما ترک النخل لان ارض الشام لم تکن بها جودة منابتها فاما العرب فالتمر هو جل غلاتهم ولذلک ربما تذکر مع النوع کما فی قوله تعالی [فی جنت وعیون، وزروع ونخل طلعها هضیم] ایضا [ونزلنا من السماء ماء مبرکا فانبتنا به جنت وحب الحصید. والنخل باسقت لها طلع نضید]

ایضا [وجنت من اعناب وزرع ونخیل] فہذان القسمان استوفیا جل مایزعہ الانسان ویغرسہ فبعد ذلک ذکر ثالثا مایستوفی الباقی من نبات الارض فاتی بکلمتین جامعتین وہما الفاکہۃ والاب: الاولی للانسان والثانیۃ للانعام کما صرح بذلک بقولہ [متاعا لکم ولانعامکم] فتری فی ہذا النظم اسلوب الاستدراک بما یستوفی الباقی وہذا کثیر فی القرآن کقولہ تعالیٰ [بما تبصرون وبما لاتبصرون] وکقولہ تعالیٰ بعد ذکر اسماء الرسل [ورسلا قد قصصنہم علیک من قبل ورسلا لم نقصصہم علیک] وکقولہ تعالی بعد ذکر حالات الاثقال من الخیل والبغال والحمیر [ویخلق مالاتعلمون]

(۱۲) نظم ہذہ الجملۃ بالسابق واللاحق

لایخفی ان خلاصۃ ہذا الذکر ان اللہ تعالی رزقنا ورزق انعامنا فکلنا عیال علیہ و انعامنا مذللۃ تحت ایدینا مع انہا تاکل مثلنا من رزق اللہ فما تمنع بنا ان نعصی الرب تعالیٰ ہذا ونظیر ہذا الذکر قد مر فی السورۃ السابقۃ فلا نعید ما قدمنا ہناک ولکن نذکر ہہنا بقدر ما یبین ربط ہذہ الجملۃ بالسابقۃ واللاحقۃ. فاعلم ان السابقۃ تذکر شناعۃ استغنائہ من جہۃ کفرہ وانکارہ وہذہ تذکر شناعۃ استغنائہ من جہۃ فجورہ وعصیانہ وفی کلتا الجملتین دلالۃ واضحۃ علی الربوبیۃ وعلی البعث وکل ذلک یہدی الی الایمان بالجزاء وایضا ما ذکر من امر طعامہ ومتاعہ مثل جامع لہذہ الحیوۃ والآخرۃ کما قال تعالی [یاایہا الناس انما بغیکم علی انفسکم متاع الحیوۃ الدنیا ثم الینا مرجعکم فننبئکم بما کنتم تعملون. انما مثل الحیوۃ الدنیا کماء انزلنہ من السماء فاختلط بہ نبات الارض مما یاکل الناس والانعام حتی اذا اخذت الارض زخرفہا وازینت وظن اہلہا انہم قدرون علیہا اتہا امرنا لیلا او نہارا فجعلنہا حصیدا کان لم تغن بالامس کذلک نفصل الآیت لقوم یتفکرون] فلما کان

فَاِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ (۳۳) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اَخِيْهِ (۳۴)
وَاُمِّهٖ وَاَبِيْهِ (۳۵) وَصَاحِبَتِهٖ وَبَنِيْهِ (۳۶) لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَاْنٌ يُّغْنِيْهِ (۳۷) وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
(۳۸) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (۳۹) وَوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ (۴۰) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (۴۱) اُولٰٓئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (۴۲)

ذلک کذلک اتبع ہذا الذکر ذکر یوم الجزاء و ایضا من اسلوب القرآن الاتیان بالترغیب و الترہیب مع الدلائل فقال عز من قائل حکیم:-

---

(۱۳) (تفسیر الکلم و الجمل فی آیات (۳۳-۴۲))

[اَلصَّآخَّةُ] صخ سمعہ اصمہ وسمیت القیامۃ صاخۃ لصیحتہا الاولی ولہولہا المذہل کما قال تعالی [یوم تذہل کل مرضعۃ عما ارضعت وتضع کل ذات حمل حملہا وتری الناس سکاری] ولذلک یقال للداہیۃ العظیمۃ. لا ینادی ولیدہا۔ فالصاخۃ جامعۃ لمعنیین وصراحۃ ولالتہا علی المعنی الاول اغنت عن بیان زائد واما المعنی الثانی فبینہ بما بعدہا الی قولہ تعالی [لکل امری منہم یومئذ شأن یغنیہ]

[يَفِرُّ] انما ہو کنایۃ عن ہول ذلک الیوم فیذہل بعضہم عن بعض کما بینہ بما بعدہ.

[مُّسْفِرَةٌ] مضیئۃ من اسفر الصبح وذلک کنایۃ عن اول ظہور المسرۃ ویفسرہ ما بعدہ

[ضَاحِكَةٌ] انما ہی کنایۃ عن المسرۃ کما یفسرہا ما بعدہا والضحک ہہنا ہو البشاشۃ بما وجدوا من الامن وقرب الحسنی.

[مُّسْتَبْشِرَةٌ] بما القوا من النعیم العتید لہم.

[عَلَيْهَا غَبَرَةٌ] جاء بمقابلة مسفرة وكنى به عن الذلة والغم كما قال تعالى [ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة] وكما قال امرؤ القيس ع

عليه القتام سيئ الظن والبال

[تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ] اى يعلوها السواد والقترة اشد من الغبرة اى تغشاها غبرة ثم تعلوها سواد، وقوله تعالى [عليها غبرة ترهقها قترة] جاء بمقابلة ما سبق من قوله تعالى [مسفرة ضاحكة مستبشرة] وهذا كما جاء قوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] [أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ] المنكرون لآيات الله جحدا عدوانا بنعمه والآثمون العصاة لاوامره نهيا فان الكلمتان جامعتان لما فصل فيما سبق من ذكر كفر الانسان وفجوره واستغنائه.

(۱۴) (نظرة فيما دل عليه نظم السورة من الحكمة في ذكر خلال الخير والشر)

القرآن لا يترك مراعات الحكمة في نظم ما يذكر من الامور فاعلم ان السورة ذكر خلال الخير والشر على سبيل المقابلة اما الاولى فالتزكى والتذكر والخشية واما الثانية فالاستغناء والكفر والفجور والترتيب في الاولى نازل لان الصالحين يجرون الى غاية فالغاية اول شئ في نظرهم والترتيب في الثانية صاعد لان الفاسقين لا يعلمون الى ما يجرون اليه. فذلك سبب الاختلاف بين الترتيبين. اما بيان ما ذكرنا من رعاية الترتيب فلا يخفى ان الخشية اصل الفلاح وهي الباعثة على التذكر والتذكر يهدي الى التزكى وهو المقصود. وكذلك الاستغناء اصل الفساد وهو الباعث على الكفر بالحق الواضح والكفر يهدي الى الفجور وعلى ما ذكرنا من ترتيب هذه الصفات شواهد جمة في القرآن وقد مر في مواضع فلا نعيده ومن يمارس يطلع.

(١٥) (نظرة فى نظم جملات السورة وتمامها)

قد تبين مما تقدم ان اول السورة فى تشنيع المستغنين الكافرين الناجين على سبيل التعريض لا بتصريحه وهذا الى عشر آيات فافتتح هذه الجملة بذكر علو منزلة هذه التذكرة المكرمة المرفوعة المطهرة بايدى الملائكة الكرام وقد انزلها الله لعباده فضلا عليهم فلا يليق بالمعرضين عنها الكارهين سماعها وهذا الى ست عشرة آية. ثم اتبعها جملتين وذكر فيهما من نعمه وقدرته ما يوضح مهانة الانسان وضعفه وفقره الى ربه لتتضح شناعة كفره وفجوره اما الجملة الاولى فتذكر النعم التى فى نفس وجوده وهى الى اثنتين وعشرين آية واما الجملة الثانية فتذكر النعم التى تحفه وبها بقاؤه وهى الى اثنتين وثلثين آية وبدء الاولى بقوله [قتل الانسان ما اكفره] وبدء الثانية بقوله [كلا لما يقض ما امره] اى ما اشد الكفر ممن هو نفسه شهادة على عبوديته وفقره ورجوعه الى دار الجزاء والحساب وما اشنع طول عصيان من لا يطول عيشه الا برزق من ربه متوال وهو يرى ذلك عيانا فذكر الكفر والفجور معا كما يذكر الايمان وعمل الصالحات حسب ترتيب عقلى فان الاعمال تابعة للعقائد والاخلاق كما قال تعالى [ارايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم] وهذا كثير فى القران. هذا وخلاصة معنى الجملتين - ان الانسان يرى فى نفسه نعم خالقه القادر ثم يستغنى عنه وينكر ان يحاسبه فيبعثه فما اكفره اهو كافر بقدرته ام بنعمته افيريد ان ينعم عليه ويترك سدى. ثم يرى فيما حوله نعم ربه الرزاق ثم يعصيه فما افجره - والى هذين الطرفين من فساد حالهم يشير ما جاء فى آخر هذه السورة من قوله تعالى [اولئك هم الكفرة الفجرة] ثم بعد ما بين فقر الانسان وجريان نعمة الرب وقدرته عليه حان ان يذكر فقره بعد هذه الحيوة يوم يذهب عنه كل ما كان سببا لغفلته واستغنائه وكفره

فى ... ذلك الى سبع وثلثين آية فافتتح بذكر القيا... بما مهد لها من الدلائل

وهكذا الحق ذكر البعث بما كان دليلا عليه في الجملة الاولى فكما جاء بعد ذكر خلقة الانسان قوله تعالى [فاذا شاء انشره] فهكذا بعد ذكر رزقه جاء قوله تعالى [فاذا جاءت الصاخة] فان الانسان اذا اتذكر خلقته تبين له قدرة خالقه على النشره واذا اتذكر ادرار رزقه عليه تبين له لزوم الحساب ووقوفه بين يدي مولاه ومربيه. ونشبه هذا الاسلوب ما جاء في سورة المرسلت من قوله تعالى [الم نخلقكم من ماء مهين فجعلنه في قرار مكين الى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون. ويل يومئذ للمكذبين (اى المكذبين بالبعث) الم نجعل الارض كفاتا. احياء وامواتا. وجعلنا فيها رواسي شمخت واسقينكم ماء فراتا. ويل يومئذ للمكذبين] اى بالجزاء. ولذلك نظائر اخر. ثم بعد ذكر غاية فقر الانسان وشناعة استغنائه وكفره وفجوره ختم السورة بذكر مآل الفريقين الخاشية المتزكية والكفرة الفجرة كما بدء السورة بذكرهما وذلك الى اثنتين واربعين آية وهي تمام السورة. فانظر كيف جعل سياق هذه السورة لذكر شناعة استغناء الانسان مع كمال فقره واحتياجه الى ما ليس له الرب من نعمه السوابغ لاسيما هذه التذكرة التي هي اعظم رزقه به واخرج جملة هذا البيان مخرج التنبيه للنبيه على ان لايلح على هولاء المستغنين ويشتغل بالذين هم احفاء بهذه النعمة العظمى. هذا آخر ما تيسر لنا ذكره في هذا المقام والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

فہرس مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آنات

تفسیر سورۃ تبت یدا ابی لہب ۴ر

تفسیر سورۃ التحریم ۴ر

تفسیر سورۃ عبس وتولی ۴ر

تفسیر سورۃ القیامہ ۴ر

تفسیر سورۃ والتین ۴ر

تفسیر سورۃ الکفرون ۴ر

تفسیر سورۃ والعصر ۴ر

تفسیر سورۃ والذریت ۶ر

امعان فی اقسام القرآن ۶ر

الرای الصحیح فی من ہو الذبیح ۱۰ر

اسباق النحو، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اردو حصہ اول ۳ر حصہ دوم ۶ر

دیوان حمید، بزبان فارسی ۱۲ر

خرد نامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان دری ۸ر

تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اردو نظم میں ۲ر

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڈھ۔

تفسير

سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف أعظم گڑه

الهند

تفسیر

سورۃ والتین ۹۵

فہرست مطالب الفصول

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ
بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

---

(١) (جملة الكلام في عمود السورة ومضمونها ونظمها)

يرى في بادي النظر ان عمود السورة هو اثبات الدين اي الدينونة والقضاء على الانسان حسب اعمالهم فبدء السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد وقد بينا في كتاب الامعان ان هذه الاقسام نوع خاص من القسم يراد به الاستشهاد على ما اقسم عليه وليست في شيء من التعظيم للمقسم به فانما هي شهادات لا غير. فعلى هذا الاصل استشهد باربع شهادات مشيرة الى وقائع الدينونة في الدنيا ليتذكروا ان الله تعالى ليس بغافل عما يعمل عباده فانه لم يزل يدينهم بالقسط ويحكم عليهم بالحق وابطل بذلك الشبهة في وقوع

الدینونۃ یوم القیامۃ و ہذا النوع من الاستدلال کثیر فی القرآن مثلا [والذریت ذروا فالحاملات وقرا فالجاریت یسرا فالمقسمت امرا انما توعدون لصادق وان الدین لواقع] ایضا [یاایہا الانسان ماغرک بربک الکریم الذی خلقک فسوٰک فعدلک فی ای صورۃ ماشاء رکبک کلا بل تکذبون بالدین] فاستشہد بافعالہ علیٰ کونہ دیانا فہکذا ہہنا استدل بوقائع الدینونۃ علی وقوع الدین. ثم ختم الکلام بالدلیل اللمی وہو الاستدلال بوصف الرب تعالی وہذا اقوی الدلائل مع غفلۃ الناس عنہ فاختار فیہ اسلوب الاستفہام لیدل علی کون الانکار بہ فی غایۃ الاستبعاد کما تری ذلک فی قولہ تعالیٰ [افنجعل المسلمین کالمجرمین مالکم کیف تحکمون] وقولہ [کیف تکفرون باللہ وکنتم امواتا فاحیٰکم] وقولہ [افی اللہ شک فاطر السمٰوٰت والارض] وہذا کثیر فی القرآن. فکذلک ہہنا اورد البرہان اللمی علی اسلوب الاستفہام. وعلی ما ذکرنا من الشہادات دل ایضا علی طرف خاص من الدینونۃ وہو اثبات ہذہ البعثۃ وقد کثر فی القرآن الاستدلال علی النبوۃ بکونہا من اکبر مظاہر الدینونۃ ورحمۃ الرب وحکمہ بالعدل فانہ لم یقض علی العباد الا بعد ارسال الرسل وکذلک فی القیامۃ یقضی علیہم بشہادۃ رسلہم فبعثۃ الرسول دینونۃ فی الدنیا وقیامۃ صغری فانہ عند ذلک فریق ینجو وفریق یہلک وینقطع عذرہم عند الدینونۃ الکبری کما قال تعالیٰ [رسلا مبشرین ومنذرین لئلا یکون للناس علی اللہ حجۃ بعد الرسل] وہذا مبسوط فی موضعہ فعلی ہذا الاصل استدل بالوقائع الماضیۃ علی کلا الامرین اعنی ان الدین لابد واقع وان ہذہ البعثۃ جاءت حسب سنۃ اللہ تعالی وجریانہا بالعدل وحسب قضائہ فیما تقدم من حکمہ الحکیم العادل وذلک اجمال القول فی العمود الذی اقسم علیہ ویتضح لک ما ذکرنا مما یتلو الی آخر الفصول۔

[التين والزيتون] انظر الفصل الثانى [احسن تقويم] قوم الشئ جعله مستقيما قومت الرمح فاستقام ومن ههنا يراد به جعل الشئ مناسبا لغاية فهذا التقويم معنوى فهو مثل التسوية وكل خلق تسوية قال تعالى [الذى خلق فسوى] فلم يخلق الله تعالى خلقا الا لغاية فجعل خلقه مناسبا لتلك الغاية فعلى هذا اذ خص الانسان باحسن تقويم كان المراد منه خلقه مناسبا لاحسن غاية وذلك بان سواه على تركيب يصلح لان ينفخ فيه روحه.

[رددنه] الرد ياتى على وجوه منها الاعادة الى الحالة الاولى كما قال تعالى [لو يردونكم بعد ايمانكم كفارا] اى يصيرونكم بعد ايمانكم كفارا مرة اخرى. وهذا اقرب من اصل المعنى وهو كما قال تعالى [... يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خسرين]

[اسفل سافلين] اسفل اما هو حال عن ضمير المفعول فى [رددنه] او ظرف وعلى هذا يكون المعنى انا صيرناه مرة اخرى فى مقام اسفل كما ترى فى قوله تعالى [اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم] اى بمقام اسفل ولا فرق بين التاويلين من جهة المعنى واما التاليف فزعموا انه على الاضافة ولكنه يأبى العربية فان اضافة افعل اذا كانت الى نكرة فلا بد ان يكون المضاف اليه مفردا كما قال تعالى [ولا تكونوا اول كافر به] فالظاهر ان [سافلين] حال مستقل ... ان كان [اسفل] ظرفا او حالا ولذلك جاء نكرة مع كونه جمعا وهذا اقرب ايضا من جهة التاويل فان موقع هذا الحال يدل على ان الانسان نفسه اختار السفل فكانه قيل ثم رددنا الانسان الى مقام اسفل والحال انهم كانوا ذاهبين بانفسهم الى السفل واما مجى الجمع بعد افراد الضمير فى قوله تعالى [رددنه] فلان المراد

بالانسان نوعه فجاء بالجمع رعاية للمعنى وهذا كثير ومنه قوله تعالى [متاعا لكم ولانعامكم] بعد قوله تعالى [فلينظر الانسان الى طعامه الخ] وقوله تعالى [افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير] وسترجع الى بيان تاويل اسفل سافلين فى الفصل الحادى عشر

[الا] اولوها الى وجهين الاستثناء المتصل او الاستدراك والثانى هو الظاهر لما اردفها بالجزاء وكما فى قوله تعالى [فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر. الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر] وكما فى قوله تعالى [وحفظناها من كل شيطن رجيم. الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين] وسياتيك بيان الفرق بين التاويلين فى الفصل الحادى عشر.

[ممنون] من منّ اذا قطع قال لبيد ع «غبر كواسب لا يمن طعامها» غير ممنون اى دائم كما قال تعالى [لا مقطوعة ولا ممنوعة] وايضا [عطاء غير مجذوذ] وليس من المنة فانه لا نظير لذلك المعنى فى القرآن وكيف تنفى المنة فان كل اجر من الله فضل ومنة منه

[فما يكذبك بعد بالدين] كذب بالشئ ضد صدق به وقد جاء فى القرآن كثيرا مثلا [ارءيت الذى يكذب بالدين] و[كلا بل تكذبون بالدين] و[كذبوا بلقاء الآخرة] و [اما كذبه به فجاء ايضا قال تعالى [فقد كذبوكم بما تقولون] اى فيما تقولون. وفى كل ذلك نسب التكذيب الى الرجال واما ههنا فنسب الى غير ذوى العقول فاما ان يكون من قبيل نسبة الشهادة والنطق الى الاشياء كما قال تعالى [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق] وعلى هذا كان المعنى فاى شئ بعد هذه الشهادات يشهد بانك كاذب فى قولك بوقوع الدين. واما ان يكون التكذيب بمعنى الحمل على التكذيب كما ذهب اليه الزمخشرى ولم اجد لهذا المعنى شاهدا فى القرآن ولا فى كلام العرب ولو ثبت لكان تاويلا واضحا. واما ان يكون بمعنى القاء الامانى والظنون كما قال افنون وهو جاهلى ـــ

ولا خير فيما لذب المرء نفسه　　　　وتقواله للشيء ياليت ذا ليا

اى لا خير فيما يحدث المرء نفسه من الامانى والآمال الكاذبة. وقال عبيد بن الابرص

والمرء ما عاش فى تكذيب　　　　طول الحياة له تعذيب

اى ما عاش فى محض الامانى غير فائز بما يتمناه فطول الحياة عذاب عليه. فهذه ثلثة معان للتكذيب اذا كان متعديا واما بيان ما يكون التاويل ههنا فسياتيك فى الفصل الثانى عشر ان شاء الله تعالى.

[الدين] الدين هو الجزاء والدينونة من قولهم "وناهم كما دانوا" وقولهم "كما تدين تدان"، وقد جاء فى القرآن كثيرا وقدمر آنفا بعض الشواهد.

(٣)　　　　(تعيين المراد بما اقسم به من المواضع)

لا تخفى عليك ان المقسم به انما ينظر اليه من جهة كونه دليلا وشاهدا وآية على ما اقسم عليه وقدمر ان المقسم عليه هو امر الدينونة فلا بد من اشتراك هذه الاسماء فى هذه الجهة وستعلم فى الفصول الآتية ما وقع من الدينونة على هذه المواضع وذلك يدل على ان المراد بالتين والزيتون موضعان ليس الا وايضا قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الامين فدل بالنظم على كونهما اسمين لموضعين وايضا لا يخفى عليك انه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وآثارها وكثر ذلك فى كلامهم جدا فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو اقرب الى اذهانهم واوقع فى نفوسهم وعلى هذا اكثر فى القرآن التذكير بذكر البلاد كما قال تعالى [وتلك القرى نقص عليك من انبائها] وايضا فى التوراة ما يطابق بهذا التاويل وسياتيك بيانه فى الفصل التاسع وعلى هذا الا نغير معنى التين والزيتون وانما نأخذ بعض وجوه معنى واحد حسب سنة الكلام كما ستعرف وبذلك يرفع الاختلاف من بين قولين لعكرمة حيث قال مرة هو تينكم وزيتونكم ومرة انهما جبلان.

هذا. والآن نذكر ما هو المراد بهذه الاسماء. فاما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى والشجر والنخلة وليس ذلك خروجا عن اصل معنى الكلمة وانما هو استعمالها في بعض وجوهها بطريق تسمية الظرف بالمظروف. قال النابغة الذبياني من بني غطفان ؎

وهبت الريح من تلقاء ذي ارل تزجي مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال اتين التين عن عرض يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

ا او بالتين جبلا في الشمال. قال الاولون هو بين حلوان وهمذان واما خلافهم من ابي حنيفة الد... ي ستعد لا ان ذلك الموضع بعيد من بلاد غطفان فلا يلتفت اليه فان الشعراء ربما ذ... ن ما بعد عن بلادهم جدا وهذا النابغة نفسه ذكر كابل وسد ياجوج وتدمر فهل هذه في بلاد غطفان ...ل التين على قول الاولين ليس بهذا البعد فانما هو على جانب من العراق وهم يذكرون الفرات ودجلة والخابور والخورنق والسدير. ولعل ابا حنيفة اخطأ معنى قوله "اتين التين" فظن ان النابغة اراد به الاتيان الى بلاده وانما هو اراد المرور فانه يصف الريح الباردة الشمالية التي تزجي السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين فازدادت ب... برودة والعرب تذكر كثيرا ... ب الريح الباردة من جانب الشمال وكذا يذكرون ...ودي بالبرودة قال ابو صعترة البولاني وهو جاهلي ؎

فما نطفة من حب مزن تقاذفت به جنبتا الجودي والليل دامس

فلما اقرته اللصاب تنفست شمال لاعلى مائه فهو قارس

... ان النابغة اراد بالتين جبلا في الشمال ولعله هو الجودي او قريب منه وكما اخطأ ال... في بيت النابغة فكذلك اخطأ صاحب معجم البلدان في بيت ابي صعترة فقال انه اراد بالجودي موضعا في اليمن فظن ان الشاعر لا يذكر الا بلاده ... فان ذلك ظن باطل ولم يثبت احد ان الجودي جبل في اليمن

وانما الجودي هو الذي ذكرنا ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباسؓ في تاويل هذه الآية فانها ان المراد به مسجد نوحؑ الذي بني على الجودي وعن عكرمة التين والزيتون جبلان. وعلى هذا فتبين ان التين اما هو الجودي او قريب منه وفي التوراة ان بني آدم تفرقوا بعد نوح عليه السلام والقرآن يدل على كونه قريبا من الجودي فيستدل بذلك على ان التين كان مسكن آدم وذريته ويؤيده ايضا ما جاء في التوراة من ان آدم عليه السلام كان يخصف عليه من ورق التين. هذا - واما الزيتون فايضا اطلق اسمه على منبته حسب سنة العربية كما مرآنفا. ولا يخفى ان المراد جبل الزيتون الذي كثر ذكر تفرعات المسيح عليه - لوقا (۲۱ : ۳۷) وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون - وسياتيك تفصيل ذلك في الفصل السادس ويوافق ذلك اقوال السلف منا فقد روي عن ابن عباسؓ وعن كعب ان الزيتون بيت المقدس وعن قتادة انه الجبل الذي عليه بيت المقدس (ابن جرير) واما طور سينين فمعروف. لكن صورة الكلمة تستدعي بيانا فاعلم ان القرآن ذكره في موضع آخر باسم (طور سيناء) فمرة اتى بها على التانيث ومرة على جمع السلامة فدل على ان التانيث اما هو لكونه صيغة للجمع كما تقول حمراء وحمرون وفي التوراة جاء سينا وسينيم وفي العبرانية "يم" علامة الجمع وقال بعض علماء اهل الكتاب ان سينيم اسم ارض الصين بدليل انه اسم ارض بعيدة عن فلسطين وهذا الدليل كما ترى. واما البلد الامين فلا حاجة الى بيانه وانما لم يقل مكة ليكون اوضح في الدلالة على وجه الاستشهاد كما ياتيك ذكره في الفصل الثامن ان شاء الله تعالى

(۴) الاصل الكلي في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع الاربع

قد مران المقسم به في الاستشهاد لا ينظر اليه الا من جهة ما يكون آية وشهادة

علی المقسم علیہ وقد علمت مجلا ان المقسم علیہ فی ہذہ السورۃ ہو امر الدینونۃ فالآن ننظر الی ہذہ البقاع من ہذہ الجہۃ لاغیر۔ واعلم ان الشی الواحد ربما یستشہد بہ من وجوہ کثیرۃ فلاحاجۃ الی حصر الوجوہ وقد جاء فی القرآن الاستشہاد بشی واحد من جہات شتی مثلا استشہد بالمطر من جہۃ علی الربوبیۃ ومن جہۃ اخری علی البعث بعد الموت وربما یصرح بکثرۃ الوجوہ کما قال تعالی [ہو الذی جعل لکم الیل لتسکنوا فیہ والنہار مبصرا ان فی ذلک لآیت] فجعل فیہا آیات لا آیۃ واحدۃ وکذلک قال تعالی [ان فی اختلاف الیل والنہار لآیت] وقال تعالی [وفی الارض آیت للموقنین۔ وفی انفسکم افلا تبصرون۔] وہذا کثیر وظاہر۔ ومع ذلک اذا اقسم بشی علی امر فعند ذلک لایؤخذ من جہات المقسم بہ الا ما کان شاہدا علی المقسم علیہ۔ وبعد ما تبینت ہذا الاصل فاعلم ان ہذہ البقاع الاربع مواضع لظہور الدینونۃ الدالۃ علی ان الرب تعالے یدین الانسان بالرحمۃ۔ والعدل حسب اعمالہ فہذا ہو الاصل الکلی فی النظر فی وجوہ الاستشہاد بہذہ البقاع واما تفصیل ذلک فنذکرہ فی الفصول الآتیۃ۔

(۵) (وجہ الاستشہاد علی الدینونۃ بالتین)

اعلم ان التین ہو اول موضع لظہور الدینونۃ علی الانسان وذلک بان آدمؑ لما نسی عہد الرب وسمع لقول حاسدہ وقعت علیہ وعلی زوجہ الدینونۃ فاہبطا بعد الرفعۃ وسلبا لباس الجنۃ کما قال تعالی [فطفقا یخصفان علیہما من ورق الجنۃ] وجعل اللہ تعالی ذلک الامر تذکارا وموعظۃ لنسلہ فقال تعالی [یبنی آدم لا یفتننکم الشیطن کما اخرج ابویکم من الجنۃ ینزع عنہما لباسہما] وقد صرح فی التوراۃ بان الشجرۃ التی خصفا علیہما من ورقہا کانت شجرۃ التین ثم عند ذلک تابا الی الرب وتاب الرب علیہما ووعد بانزال ہدیہ واجر من تبعہ من ذریتہ فاعطاہ عہدا ثانیا فواقعۃ التین جمعت السلب والعطاء۔ الاول لنسیانہ العہد الاول والثانی لانابتہ الی الرب۔ وکذلک وقعت الدینونۃ علی نسل فی عہد نوح

عليه السلام عند جبل التين فاهلك الظالمون وبورك الباقون كما قال تعالى [وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين] ثم بعد ذكر دعاء نوح قال تعالى [قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم] اي جعلنا السلام والبركات لك وللمؤمنين معك واما الآخرون فلهم ايضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب اليم. فصار التين آية وتذكرة لما وقع على الانسان من الدينونة وقضاء الرب تعالى. وذكرها باسم التين بدل السعير احسن لما هو اوضح دلالة على واقعة هي اقدم واوسع من واقعة الطوفان. ثم في هذا الاسم دلالة اخرى وسيأتيك ذكرها.

(٦) (وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون)

اعلم ان الزيتون قد وقعت عليه الدينونة النطقي من سلب الامانة والناموس من اليهود واعطائها لدوحة اخرى من شجرة ابراهيم اذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح في ليلة سهرها على جبل الزيتون وقد ناجى الرب الى السحر ومس من قومه فحزن غاية الحزن لما علم ان اليهود يهمون بقتله، فبذلك يلعنون ويسلبون الامانة فتعطى لامة جديرة بها كما صرح به المسيح حيث قال: متى (٢١: ٤٣) "اما قرأتم قط في الكتاب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية - من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في اعيننا (قوله الحجر الى قوله في اعيننا منقول من مزمور (١١٨: ٢٢-٢٣) ثم فسر المسيح ذلك فقال) ٤٣ لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره. ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" فهذا انتزع ملكوت الله وقع على جبل الزيتون ويتبين ما ذكرنا مما جاء في الاناجيل ففي الانجيل المنسوب الى لوقا (٢٢: ٣٩-٥٢) "وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه ايضا تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا في التجربة (اي الفتنة النطقي التي

تاخذ الیہود عن قریب فیلعنون بہا کما جاء فی القرآن [وحسبوا الا تکون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله علیہم ثم عموا وصموا کثیر منہم] فلما بلغوا المنتہی حقت علیہم کلمة اللعنة والطرد) ٤١ و انفصل عنہم نحو رمیة حجر وجثا علی رکبتیہ وصلی ٤٢ قائلا یا رب ان شئت ان تجیز عنی ہذہ الکاس ولکن لتکن لا مشیئتی بل مشیئتک . ٤٣ وظہر ملک من السماء یقویہ ٤٤ و اذکان فی جہاد کان یصلی باشد لجاجة وصار عرقہ کقطرات دم نازلة علی الارض ٤٥ ثم قام من الصلوة وجاء الی تلامیذہ فوجدہم نیاما من الحزن ٤٦ فقال لہم لماذا انتم نیام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فی تجربة . ٤٧ وبینما ہو یتکلم اذا جمع والذی یدعی یہوذا واحد من الاثنی عشر یتقدمہم فدنا من یسوع یقبلہ ٤٨ فقال لہ یسوع یا یہوذا ابقبلة تسلم ابن الانسان . ٤٩ فلما رأی الذین حولہ مایکون قالوا یا رب انضرب بالسیف . ٥٠ وضرب واحد منہم عبد رئیس الکہنة فقطع اذنہ الیمنی . ٥١ فاجاب یسوع دعوا الی ہذا ولمس اذنہ وابرأہا ٥٢ ثم قال یسوع لرؤساء الکہنة وقواد جند الہیکل والشیوخ المقبلین علیہ کانہ علی لص خرجتم بسیوف وعصی ..

ولہذہ الواقعة اللطیفة ذکر فی مرقس ومتی وفی البعض مالم یذکر فی الآخر فنجمع لک ماتیم بہ اطراف ہذہ القصة ولا تمل اطناب الکلام فان الواقعة مہمة جدا ففی مرقس (١٤) : ٣٣ - ٣٤ " ثم اخذ معہ بطرس (ای شمعون الصفا) ویعقوب ویوحنا و ابتدأ یدہش ویکتئب . ٣٤ فقال لہم نفسی حزینة جدا حتی الموت امکثوا ہہنا و اسہروا . ٣٥ ثم تقدم قلیلا وخر علی الارض وکان یصلی لکی تعبر عنہ الساعة ان امکن . ٣٦ وقال یا اب الاب کل شئی مستطاع لک فاجز عنی ہذہ الکاس ولکن لیکن لا مشیئتی بل مشیئتک . ٣٧ ثم جاء ووجدہم نیاما فقال لبطرس یا سمعان انت نائم اما قدرت ان تسہر ساعة واحدة . ٣٨ اسہروا وصلوا لئلا تدخلوا فی تجربة اما الروح فنشیط واما الجسد فضعیف . ٣٩ ومضی ایضا وصلی قائلا

ذلک الکلام بعینه - ٤٠ ثم رجع و وجدہم ایضا نیاما اذ کانت اعینہم ثقیلۃ فلم یعلموا بما ذا یجیبونہ (ای علی توبیخہ ایاہم) - ٤١ ثم جاء ثالثۃ وقال لہم ناموا الآن واستریحوا (ای قدحم الامر و تمت علی الیہود سیآت ماکسبوا وانا لم آل جہدا فے دعائی لہم کابنہ فقال) یکفی - قد اتت الساعۃ ،، والباقی یشبہ ما قدمر۔

وفی متی (٢٦: ٣٦-٤٥) مایشبہ ذلک غیر ان فیہ ،، ثم تقدم قلیلا و خر علی وجہہ کان یصلی ... ،، فصرح بالسجود وفی لوقا اکتفی بذکر الرکوع فقط ۔ واما فی یوحنا فلم یذکر صلوۃ المسیح ولکن ذکر فی ہذا الموقع من کلامہ علیہ السلام مالم یذکرہ غیرہ مع زیادۃ من الکذب فنذکر منہ ما یدل علی کون ہذا الکلام عند تلک الحادثۃ وعلی الطرف الآخر من قضاء اللہ علی قوم الیہود و ہو طرف الرحمۃ من الدنیوۃ و اوخرہا الرب لمن یومنون فی الآخرین تلین قلوبہم کاکثر ذکرہ فے التوراۃ وصرح بہ القرآن فی سورۃ الاعراف وہو قولہ تعالیٰ [قال عذابی اصیب بہ من اشاء ورحمتی وسعت کل شیٔ فسأکتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوۃ والذین ہم بآیتنا یومنون۔ الذین یتبعون الرسول النبی الامی الذی یجدونہ مکتوبا عندہم فی التوراۃ والانجیل یامرہم بالمعروف وینہہم عن المنکر ویحل لہم الطیبت ویضع عنہم الاصر والاغلال التی کانت علیہم فالذین آمنوا بہ وعزروہ ونصروہ واتبعوا النور الذی انزل معہ اولٰئک ہم المفلحون۔] فی یوحنا (١٢: ٢٣-٣٦)،، واما یسوع فاجابہما قائلا قد اتت الساعۃ لیرتفع ابن الانسان - ٢٤ الحق الحق اقول لکم ان لم تقع حبۃ الحنطۃ فی الارض و بقیت فہی تبقی وحدہا ولکن ان ماتت تاتی بثمر کثیر - ٢٥ من یحب نفسہ یضیعہا ومن یہین نفسہ فی ہذا العالم یحفظہا الی حیوۃ ابدیۃ - ٢٦ ان کان احد یخدمنی فلیتبعنی وحیث اکون انا ہناک ایضا یکون خادمی - وان کان احد یخدمنی یکرمہ الرب - ٢٧ ۔ الآن نفسی قد اضطربت وماذا اقول

وكان اضطرابه لامرين شقوة اليهود به واهانته بايديهم والاول قد علم انه لابد واقع والثاني كان لامرين خوف ذلة الحق امام الباطل وخوف فتنة الناس بذلك كما جاء في القرآن في ذكر دعاء المؤمنين عند خوف غلبة الباطل. [ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظلمين و نجنا برحمتك من القوم الكفرين] ايضا [ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا] كما يبين ذلك ما يتلوه فقال) ايها الرب نجني من هذه الساعة ولكن لاجل هذا اتيت الى هذه الساعة -
۲۸ ايها الرب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وامجد ايضا -
۲۹ فالجمع الذي كان واقفا وسمع قال قد حدث رعد وآخرون قالوا قد كلمه ملاك -
۳۰ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم (اي يرفعني ربي ولا تصل الى ايدي الظالمين لكي تحفظوا عن الفتنة) -
۳۱ الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا (المراد بالعالم ههنا اليهود والمراد بطرح رئيسهم طرح اتباعه معه وقوله خارجا اي عن منصب حمل الشريعة فانهم هناك طردوا عن القيام أمام الرب) .
۳۲ وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب الى الجميع
۳۳ قال هذا مشيرا الى آية ميتة كان مزمعا ان يموت (هذه زيادة من الرواة وهي باطلة فان المسيح انما قال ان ارتفعت ولم يقل ان مت وكذلك في سائر اقواله) -
۳۴ فاجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس ان المسيح يبقى الى الابد فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان من هو هذا ابن الانسان -
۳۵ فقال لهم يسوع النور معكم زمانا قليلا بعد (هذا يشير الى ذهاب كتاب الله من عندهم بعد زمان حتى جاء ذاك النور مع النبي الذي بشر به المسيح والى هذا يشير ما جاء فيما مر آنفا من سورة الاعراف وهو قوله تعالى [واتبعوا النور الذي انزل معه] فارجع اليه) فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام والذي يسير في الظلام لا يعلم الى اين يذهب -
۳۶ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور تكلم يسوع

بهذا ثم مضى واختفى عنهم»، هذا اصح وجه للقصة ولم يذكره غير يوحنا وهو صريح في ان المسيح
غاب عن الناس ولم تقع عليه ايدي اليهود وارى ان اختفاءه كان آخر القصة
ولكن اختلطت الروايات وقدموا واخروا من غير علم. ايضا (١٦: ٥-١٣) واما الآن
فانا ماض الى الذي ارسلني وليس احد منكم يسألني اين تمضي- ٦ لكني لاني قلت
لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم- ٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق. لانه ان لم انطلق
لا يأتيكم الفارقليط ولكن ان ذهبت ارسله اليكم- ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم
على خطية وعلى بر وعلى دينونة- ٩ اما على خطية فلانهم لا يؤمنون بي- ١٠ واما على بر فلاني
ذاهب الى ربي ولا ترونني ايضا- ١١ واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد
دين(اي يعلم اليهود وشيعتهم امورا تقدم ايمانهم بالمسيح الذي جاء مصدقا للتوراة وطهارته
وبراءته منهم وخذلانهم. الذي عبر عنه بقوله: «الآن دينونة هذا العالم- الآن يطرح رئيس
هذا العالم خارجا»، كما مر آنفا-) ١٢ ان لي امورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون
ان تحتملوا الآن- ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه
لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية»
ايضا (ص١٦ ف ٢٠) الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. انتم
تحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح- ٢١ المرأة وهي تلد تحزن لان ساعتها قد جاءت،
ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم»
فمثل زمان غيبته بزمان المخاض وزمان ظهور النبي الموعود به بزمان الولادة. ايضا (١٦:
٣٢) «هوذا تأتي ساعة وقد اتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوني
وحدي وانا لست وحدي لان الرب معي»، بعد ذلك ذكر كلامه بالرب ثم ذكر
قصة هجوم الكهنة عليه ودلالة يهوذا. مشابها لما في الاناجيل الاخر. ولا شك ان زيادة
غير صحيحة بعد ما قال انه مضى واختفى عنهم، وقد ذكرنا تبيين للسائل ما وقع من الدنيا:

المنطفی علی قبۃ الزیتون - طرد قوم و دعی قوم ثم یدعی التابعون من الاول فکان اختلاط الرحمۃ والنقمۃ والنور والظلمۃ وعند ذلک تسکب العبرات وتصعد الزفرات وتری المسیح هناک کالشمع فی آخر ذوبانہ وشدتہ وھیجانہ. افرغ جھدہ لقومہ ثم غمہ الیاس ثم سکنہ الرجاء فاضطرب تحت عواصف الھموم کالبحر المتلاطم ثم فی الزیتون الماع الی دینونۃ اخری مع نوح علیہ السلام وسیاتیک ذکرہا۔

(۷) (وجہ الاستشہاد علی الدینونۃ بطور سینین)

واما طور سینین فلا یخفی ان اللہ تعالی اعطی علیہ الامانۃ امۃ ضعیفۃ قد صبرت علی ظلم اعداء اللہ فانجاھا من ایدیھم بیدقویۃ ورفع امرھا ودان عدوھا ثم اعطاھا ناموسا ذا باس شدید علی الظالمین الکافرین فکان ھذا العطاء العظیم رحمۃ علی الضعفاء وانتقاما من الاقویاء وکان ایضا اجر العابدین وجزاء للکافرین وھذا تبیین لک مما جاء فی القرآن والصحف الاولی. ففی القرآن فی ذکر فرعون وقومہ [فاستخف قومہ فاطاعوہ انھم کانوا قوما فاسقین. فلما آسفونا انتقمنا منھم فاغرقنھم اجمعین فجعلنھم سلفا ومثلا للآخرین] وایضا [وتمت کلمۃ ربک الحسنی علی بنی اسرائیل بما صبروا ودمرنا ما کان یصنع فرعون وقومہ وما کانوا یعرشون.] وایضا [ان فرعون علا فی الارض وجعل اھلھا شیعا یستضعف طائفۃ منھم یذبح ابناءھم ویستحیی نساءھم انہ کان من المفسدین. ونرید ان نمن علی الذین استضعفوا فی الارض ونجعلھم ائمۃ ونجعلھم الوارثین ونمکن لھم فی الارض ونری فرعون وھامن وجنودھما منھم ما کانوا یحذرون.] واما الصحف فقد صرحت بان اللہ تعالی رحم علی بنی اسرائیل لیدین بہ الکفار ولیتم بہ ما وعد اباءھم الصالحین من البرکۃ والنعمۃ. ففی سفر التثنیۃ (۷: ۷ لیس من کونکم اکثر من سائر الشعوب التصق الرب بکم واختارکم - لانکم اقل من سائر الشعوب ۸ بل من محبۃ الرب ایاکم

وحفظ القسم الذی اقسم لآبائکم اخرجکم الرب بید شدیدة وفداکم من بیت العبودیة من ید فرعون ملک مصر ۹ فاعلم ان الرب الٰہک ہو اللہ الالٰہ الامین الحافظ العہد والاحسان للذین یحبونہ ویحفظون وصایاہ الی الف جیل ۱۰ والمجازی الذی یبغضونہ بوجوہہم یہلکہم لا یمہل من یبغضہ بوجہہ یجازیہ " و ایضا (۹: ۵ لیس لاجل برک وعدالة قلبک تدخل لتمتلک ارضہم بل لاجل اثم اولئک الشعوب یطردہم الرب الٰہک من امامک ولکی یفی بالکلام الذی اقسم الرب علیہ آبائک ابراہیم واسحق ویعقوب + ۶ فاعلم انہ لیس لاجل برک یعطیک الرب الٰہک ہذہ الارض الجیدة لتمتلکہا لانک شعب صلب الرقبة + ۷ اذکر لا تنس کیف اسخطت الرب الٰہک فی البریة من الیوم الذی خرجت فیہ من ارض مصر حتی اتیتم الی ہذا المکان کنتم تقاومون الرب ." ثم ذکر اتخاذہم العجل حین ذہب عنہم موسی وصعد الی طور سیناء لاخذ لوحی العہد. فمما ذکرنا تبین ان اللہ تعالٰے دعا موسیٰ الی الطور لاجل اتمام النعمة علی ذریة الصالحین لیمکن بہم فی الارض لیکونوا شہداء للہ بالدین الحق ویہلک بہم المفسدین الکافرین فکان ذلک دیونة رحمة ونقمة وثواب وعذاب لیعلموا انہ ہو العزیز الرحیم الدیان الحکیم.

(۸) (وجہ الاستشہاد علی الدیونة بہذا البلد الامین)

اعلم ان الدیونة التی وقعت فی مکة کانت اوسع رحمة للناس وباقیة الی القیامة وبیان ذلک ان اللہ تعالی لما ابتلی ابراہیم علیہ السلام بکلماتہ فاتمہا وبعہدہ فوفی حتی قرب فی آخر عمرہ بکرہ الوحید البار السعید اسمٰعیلؑ فحینئذ بارکہ الرب وبشرہ باسحقؑ واعطاہ عہدین فی ذریة منہما. فاما عہدہ فی اسحق علیہ السلام فاتمہ حین دعا موسی علیہ السلام الی الطور واعطاہ الکتاب المبین

ثم استمر علی علات الیہود حتی امتلأت کاسہم حین ہموا بقتل آخر انبیائہم فنزعہ عنہم کامر وکان فیہ دینونۃ مختفۃ بطائفۃ من بنی آدم والی زمان . واما عہدہ فی اسمعیل فاخرہ یتم بہ النعمۃ للصالحین والنقمۃ للجاحدین من الناس اجمعین . فجعلہ تمام الدینونۃ التشریعیۃ حتی تاتی الدینونۃ الآخرۃ یوم القیامۃ یوم الفصل التام . ولا بد للاتمام والاکمال ان یاتی فی الآخر ولکنہ موعود ومنتظر من اول الامر . والی ہذا یشیر کثیر مما جاء فی الصحف الاولی والقرآن مثلا « الحجر الذی رفضہ البناؤن صار راس الزاویۃ . من قبل الرب کان ہذا وہو عجیب فی اعیننا ومن سقط علی ہذا الحجر تیرضض ومن سقط ہو علیہ یسحقہ » وقد ضرب المسیح امثالا کثیرۃ لہذہ الدینونۃ المنتظرۃ وسماہ ملکوت اللہ . وصرح بان ... الآخرون الاولون فقال فی مثل الاکارین کما جاء فی متی ص ٢٠ ت ١٦ « ہکذا یکون الآخرون اولین والاولون آخرین » وکذلک صرح بان اتمام الحق . لنو ریکون عند ذاک کما القا . واذ کان الامر کذلک جعل مرکز ہذا العہد بلدا امینا محفوظا عن ارادہ واختار لہ خیر امۃ لیکونوا شہداء اللہ علی جمیع اہل الارض وبعث فیہ نبیا علی کافۃ الناس واتم بہ الشرائع والحکمۃ لکیلا یبقی للناس حجۃ بعد ذلک عند دینونۃ فی القیامۃ وبین القرآن ہذہ الامور فی مواضع فمنہا قولہ تعالیٰ [واذ ابتلی ابرہیم ربہ بکلمت فاتمہن قال انی جاعلک للناس اماما . قال ومن ذریتی . قال لا ینال عہدی الظلمین . واذ جعلنا البیت مثابۃ للناس وامنا . واتخذوا من مقام ابرہیم مصلی . وعہدنا الی ابرہم واسمعیل ان طہرا بیتی للطائفین والعاکفین والرکع السجود . واذ قال ابرہم رب اجعل ہذا بلدا آمنا وارزق اہلہ من الثمرات من آمن منہم باللہ والیوم الآخر . قال ومن کفر فامتعہ قلیلا ثم اضطرہ الی عذاب النار وبئس المصیر . واذ یرفع ابراہم القواعد من البیت واسمعیل . ربنا تقبل منا انک انت السمیع العلیم . ربنا واجعلنا مسلمین لک ومن ذریتنا امۃ مسلمۃ لک وارنا

مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ٥ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم، انك انت العزيز الحكيم] فاتم الله عهده بابراهيمؑ وجعله اماما للناس بما عهد اليه والى اسمعيلؑ سدانة بيته وجعله مثابة للناس وامنا واستجاب دعاءه فبعث فيه رسولا وكل ذلك لما وجده كاملا في العبودية وفي التوراة ان الله وعده بان يبارك به الامم فوقع جميع هذه الامور ... هذا البلد ماموتا من عهد ابراهيمؑ والمخاطبون قد علموا ذلك وقد شهدوا كيف اهلك الله اصحاب الفيل حين راموا كيد خلاف هذا البلد. هذا وامامركز عهده في ذرية اسحق فدارت عليه وعلى اهله ... بذلك في الصحف كثير، وقد ذكره في تفسير سورة الفيل. ... ذلك على من نظر في الصحف الاولى، كما ذكرنا ... التي قصت في هذه ... من السنة والحسنى والحمد لله في الآخرة والاولى. ... الله تعالى ذكر هذه المواضع لكونها شاهدة لدينونة ... في الدنيا وجزائه اياهم بسبب اعمالهم ليبين لهم ان ربهم لم يخلقهم سدى ولم يغفل ... فانزل اليهم الكتاب والذكرى واكثر لهم من النذر والبشرى ... بما يهتدون به بسبب ما ... نظرتهم من الاستعداد للرقي الى مدارج الكمال ... دليلا على وقوع الدين في الآخر كما قد منا ذكره في الفصل الاول

(٩) (نظير ذلك في التوراة وتحقيق مقام سعير)

قد جاء في التوراة ما هو في غاية المشابهة باوائل هذه السورة ونذكره لما فيه تصريح ببعض ما ذكرنا۔ سفر التثنية (٣٣: ١-٤) ... وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته فقال - ٢ جاء الرب من سيناء - واشرق لهم من سعير - وتلألأ من جبل فاران - واتى من ربوات

القدس - وعن يمينه سنة نار لهم - مو فاحب الشعب (بعد ذكر ذلك التفت مخاطب الرب قائلا) جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من اقوالك - بهنا موسى اوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب ،، وبعد ذلك دعا لقومه بالبركة وكان ذلك آخر كلامه ولا يخفى على المتدبر ان فى تقديم هذه الجمل قبل البركة اشعارا بان الله تعالى لم يزل يعطى البركة للذين اطاعوه ويتجلى لهم بمراحمه فكذلك يبارك هذا الشعب اذا اطاعوه ويتقبلوا ما انزل اليهم من احكام الرب ووصاياه . واذا تبين لك هذا استبان لك ما فى هذا الكلام من المشابهة بما ذكرنا من التاويل ومن ان المراد بهذه الاسماء هى مشاهد ظهور الرب بافعاله سواء كانت هذه المواضع الاربع مطابقة بالاربع التى فى هذه السورة كل المطابقة او بعضها والتامل يهدى الى المطابقة التامة فان المطابقة بين الثلاثة من هذه الاربع ظاهرة جدا . فانه لا يخفى ان سيناء اسم آخر لطور سينين وفاران اسم لجبال مكة باتفاق اهل العلم منا وفى التوراة شواهد على ذلك كما هو مبسوط فى تفسير جزء الصفت وابواب للقدس عبارة عن جبال القدس التى كثر ذكرها فى الاناجيل بجبل الزيتون فلم يبق الابيان المطابقة بين التين وسعير . ونذكر لك ما يؤيد ذلك والله اعلم .

قد مر فى الفصل الثالث ان التين هو اول مسكن بنى آدم وهو الجودى او قريب منه فالآن نقول ان سعير حسبما جاء فى صحف اليهود اسم لجبال ادوم التى نهى بنو اسرائيل عن تملكها وهى بلاد فسيحة الارجاء كثيرة الملوك والقبائل ويزعمون بان ادوم سمى به عيص بن اسحق وان معناه الحمرة وانه كان احمر قويا شديد البطش وادوم وبنو ادوم هم اولاده سكان سعير وآما موضعه فالتبس عليهم مثل كثير من مواضع البلاد كما اعترف به علماؤهم وذلك بانهم جمعوا الروايات المتناقضة فمع ظهور انهم يجعلونه فى جنوب الشام تراهم يذكرون ايضا ما يدل على كونه فى الشمال والمشرق من بلادهم ففى سفر العدد (٢٤ : ٧) " وهذا يكون لكم

تحم الشمال - من البحر الكبير (اى بحر الروم) ترسمون لكم الى جبل هور ،، وجبل هور فی طرف ادوم كما جاء فی سفر العدد (٣٣ : ٣٧) ،، ونزلوا فی جبل هور فی طرف ارض ادوم ويتبين من هذا ان الخط الذی يمر من البحر الكبير الى الشرق يبلغ ارض ادوم على جانب الشمال والشرق من ارض بنی اسرائيل وذلك يطابق بما ذكرنا من موضع التين - ويؤيد ذلك امور الاول انهم يذكرون ان ادوم ماخذه الادمة وذلك هو الماخذ لاسم آدم عليه السلام فالاقرب ان ادوم سمی بهذا الاسم لما كان مسكن بنی آدم . والثانی انهم يذكرون ان ادوم هو اسم آخر لسعير فی العبرانية هو الطوفان فالاقرب ان الجودی سمی بسعير وكان عنده مسكن بنی آدم الى ان تفرقوا بعدما كثر اولاد نوح عليه السلام والثالث انا لانجد فی صحفهم اسراعظيما وقع على موضع يزعمون انه المراد باسم سعير فالاقرب ماذكرنا من مطابقة التين بسعير وادوم - ذلك - والله اعلم

(١٠) (نظرة فی النظيرين من جهة النظم والبيان)

بعد ظهور المطابقة بين النظيرين لعلك تسأل عن وجه الاختلاف بينهما فی ترتيب هذه الاسماء فاعلم انه كثر فی القرآن والتوراة ذكر الامور نفسها على انحاء من الترتيب ولكل وجه صحيح . والآن ندلك على وجه الترتيب ههنا حسبما يظهر والله تعالى اعلم . اما القرآن فروعی فيه ترتيب الزمان والمكان وجمع المثل بالمثل وذلك بان قدم الديونة الآدمية لتقدمها زمانا ثم اردفها الديونة المسيحية لما بين آدم والمسيح عليهما السلام من المماثلة كما قال تعالى [ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم] وايضا شجرة التين جعلت تذكرة للسلب لعطاوفا ثنا تتعرى زمانا ثم تلبس وتثمر فصارت آية لما وقع على آدم وذريته كما مر فی الفصل الرابع وكذالك المسيح عليه السلام ضرب شجرة التين فی غير

او ان ثمرها مثلا لذهابه وشقوة امته به وهذا يظهر للمتدبر مما جاء في متى (٢١: ١٨-١٩) ومرقس (١١: ١١-١٩) ولوقا (١١: ١-١٩) ثم جعلها مثلا وهي مورقة لحيوة وسعادة قومه كما هو مصرح به في متى (٢٤: ٣٢-٣٥) ومرقس (١٣: ٢٨-٢٩) ولوقا (٢١: ٢٥-٣١) ثم ذكر الديونة الموسوية واردفها الديونة المحمدية لما بين موسى ومحمد عليهما الصلوات من المماثلة كما هو ظاهر وكما قال تعالى [انا ارسلنا اليكم رسولا كما ارسلنا الى فرعون رسولا] وكما جاء في البشارة المشهورة لنبينا صلى الله عليه وسلم في سفر التثنية (١٨: ١٨) " اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه " فانظر كيف راعى الترتيب الزماني بين آدم وموسى واردفهما بمثيلها فجعل النظم كالجمان المفصل . ثم انظر كيف جعل هذه البقاع مع رعاية المناسبة المعنوية مرتبة حسب المكان فان التين اقصاها في الشمال والمشرق ثم جعل الزيتون في الشام ثم الطور في المغرب والجنوب ثم مكة في اقصى الجنوب وهكذا كان مسير ابراهيم عليه السلام في هجرته من اور الكلدانيين الى كنعان ومصر حتى انتهى الى مكة . وقد مر في الفصل الرابع ان موضع التين هو الذي وقعت عنده الديونة في عهد نوح عليه السلام وكذلك مكة موضع عهد الرب بابراهيم عليه السلام الذي دعا ان يجعلها الرب بلدا امينا وذكرها ههنا بهذا الاسم يلمع الى ذلك فصارت الآية جامعة لما اظهر الرب من الديونة في عهد آدم ونوح وموسى وعيسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلوة . ونظير ذلك قوله تعالى [ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العلمين] فخص هؤلاء بالذكر . ولا يخفى ما في جمع التين بالزيتون وطور سينين بالبلد الامين ايضا من المناسبة الظاهرة جمعا وفرقا . وايضا في قران التين بالزيتون مناسبة اخرى لطيفة وذلك بان في الزيتون ايضا ايماء الى بركات نوح ع وبيان ذلك ان نوح عليه السلام بنه تنشف المياه بالزيتون كما جاء في سفر التكوين (٨: ١٠) فلبثت ايضا سبعة

ايام اخر و عاد فارسل الحمامة من الفلك - الا فاتت اليه الحمامة عند المساء و اذا ورقة زيتونة خضراء في فمها - فعلم نوح ان المياه قد قلت عن الارض»، و ما ذكرتبيين ما في هذا الترتيب من المناسبة من وجوه كثيرة - واما التوراة فالمخاطبون بها البسطاء فبالغ في التصريح فقال جاء الرب و في التصوير فقال اشرق و تلألأ فعلى هذا الاصل ذكر الاقرب فالاقرب . فقدم طورسينا ، ثم تقدم خطوة فذكر سعير موضع ديونة اسمعيل ثم رجع فذكر من كان مثل موسىٰ وكان ظهوره من فاران و قد بشرهم به وعرفه لهم كل التعريف ثم مثل الاول تقدم خطوة فذكر من كان قبله آتيا من ربوات القدس واذ كان واصلب الرقاب راعى جانب التخويف فذكر التين باسم سعير دلالة على موضع الطوفان وكذلك ختم الذكر بقوله « وعن يمينه سنة نارلهم»، فراعى في هذا الكلام ايضا وجه البلاغة حسب مقتضى الحال ولكل حال مقال وتختلف الصور مع اتحاد المعنى والله تعالى اعلم و علمه احكم.

(١١) (في تاويل المقسم عليه وهو قوله تعالى [لقد خلقنا الانسان - غير ممنون])

قد سبق فيما مر ان المقسم عليه هو امر الديونة و قد اقسم عليها في سور اخرو جعلها اكبر مطالبها فلا نذكرها هنا الا ما نحتاج الى ذكره في هذه السورة فاعلم ان الله تعالى جعل الرحمة اصل كلما يفعل بعباده فاعطى الانسان اولا احسن تقويم وهذه العطية تلزمها الديونة كما وضحت ولكنه تعالى مهد له منها سبيلا الى رحمته اكبر واتم فالرحمة كما هي اصل الديونة وبذرها فكذلك هي فرعها وثمرها وعلى هذا الاصل ذكر في القسم ثلاث مراتب الانسان اولها وسطها وآخرها . و اخبر عن عموم حالة من حيث نوعه . وجعل . واقعة آدم عليه السلام مرآة لذلك . و بيان هذا الاجمال ان الله تعالى خلق الانسان في غاية الحسن من الخلقة على طريق مستقيم من الفطرة حرا كاملا لها

بالخیر والشر مختار افی الارادة والفعل کما قال تعالیٰ [ونفس وما سوٰیہا فالہمہا فجورہا وتقوٰیہا] لکی یکبح جانب الفجور من نفسہ ویختار جانب التقوی فیطیع ربہ بعد الحریۃ وذلک ارفع منزلۃ من طاعۃ من فطر علیہا وسخر لہا فذلک قولہ تعالیٰ [لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم] فکون الانسان فی احسن تقویم ہو وضعہ بین المتقابلین المتضادین من المیل الی الخیر والشر مع العلم بہا والاختیار بینہا وجعل حب الخیر اصل فطرتہ وذلک بان تربیۃ القوی وابرازہا واکمالہا منوط بالجہد والکدح ولابد للاختیار من ہذہ المشقۃ لیخلص النضار من الخبث وہو المراد من التزکیۃ والابتلاء ولولا ہذا الجہد والکد لما ترقی الانسان الی ذروۃ الکمال الذی اودع اللہ فطرتہ وجعلہ بذلک احسن خلقہ علما وعملا وحکمۃ وزکاۃ ۔ وآدم من علیہ ربہ بالاختیار عاملہ معاملۃ الاحرار فاخذ منہ عہد الطاعۃ وبذلک صار موقعا للدینونۃ فلما نسی العہد لقلۃ عزمہ کما قال تعالیٰ [ولقد عہدنا الی آدم من قبل فنسی ولم نجد لہ عزما] تصدی للدینونۃ فذلک قولہ تعالیٰ [ثم رددنٰہ اسفل سافلین] ولکنہ تعالیٰ اذ فتح لہ غرفۃ الہام الفجور والتقوی تدارکہ بوحی التوبۃ کما قال تعالیٰ [فتلقی آدم من ربہ کلمٰت فتاب علیہ] فنہض الانسان بعد ہبوطہ احسن مما کان فاجتباہ ربہ کما قال تعالیٰ [وعصی آدم ربہ فغوی ثم اجتبٰہ ربہ فتاب علیہ وہدی] وہذہ دینونۃ ثانیۃ وکما ان الاولی لم تکن مختصۃ بآدمؑ بل عمت ذریتہ فکذلک جعل ہذہ الثانیۃ عامۃ فان کل من تاب بعد الزلۃ تاب اللہ علیہ ویہدیہ کما قال تعالیٰ [قلنا اہبطوا منہا جمیعا فاما یاتینکم منی ہدی فمن تبع ہدای فلا خوف علیہم ولا ہم یحزنون] فکما عرض وحی التوبۃ علی آدمؑ فکذلک یعرضہ علی ذریتہ بواسطۃ الانبیاء فمن تلقاہ کان علی سنۃ آدم واوتی ما سلب بل ما ہو خیر وابقی فکذلک قولہ تعالیٰ [الا الذین آمنوا وعملوا الصلحت فلہم اجر غیر ممنون] فہذہ ثلاث مراتب فی احوال الانسان ۔ ویشبہ ہذہ الایات قولہ تعالیٰ [انا عرضنا الامانۃ

علی السمٰوٰت والارض والجبال فابین ان یحملنہا واشفقن منہا وحملہا الانسان انہ کان
ظلوما جہولا (ظلوما من جہۃ العمل فاجتریٔ علی امر عظیم فظلم نفسہ واورد ہا مہالک وجہولا من جہۃ
العلم فتجاسر علی امر لو تبینہ وعلم کنہہ لاشفق منہ ولکن لو لاہما لما ترقی فان کل فوز فی المخاطرۃ
کما ذکر نتیجۃ ذلک فقال تعالیٰ) لیعذب اللہ المنٰفقین والمنٰفقٰت والمشرکین والمشرکٰت
ویتوب اللہ علی المومنین والمومنٰت وکان اللہ غفورا رحیما] فکان احتمال الانسان
الامانۃ لکمال استعدادہ وکان ظلمہ وجہلہ لما انطوی ہذا الاستعداد علی الزلۃ
والعقبات والنہوض فیتوب اللہ علی من انتعش بعد العثرۃ مثل آدم فیفوز بالاجتباء۔
وبما ذکرنا تبین ان ہذہ الآیات الثلاث جامعۃ لتمام قصۃ الانسان ودیونتہ من اول
خلقہ الی نہایۃ مبلغہ وناظرۃ الی حالۃ آدمؑ وہبوطہ مع ذریتہ۔ وعلی ہذا یفہم من [اسفل
سافلین] حالتہم حین ارجعوا الی ہذہ الدار الدنیا وحینئذ حرف [الا] للاستدراک
ای ولکن المومنین تیرقون بعد الہبوط فیفوزون باجر دائم۔ واما من فہم من [اسفل سافلین]
حالۃ الکفار فقط جعل الاستثناء متصلا ای بعد خلق الانسان فی احسن تقویم رددناہم
اسفل سافلین غیر الذین آمنوا وعملوا الصالحات فہولاء لم یرد وا من الحالۃ الاولی۔
ولا یخفی ان ہذا التاویل الاخیر ضیق وبعید لکونہ غیر مطابق لعموم خلق الانسان ولا ناظر
الی قصۃ آدمؑ وہبوطہ مع ذریتہ فان الرد حینئذ یکون مخصوصا بالکفار۔ واما التاویل
الاول فہو اوسع واتم ویؤیدہ ما ذکرنا من نظیرہ فان قولہ تعالیٰ [انہ کان ظلوما
جہولا] غیر مختص بالکفار ثم فرق بین الکافرین والمومنین۔ واعلم ان کلا ہذین
التاویلین محتمل علی فرض التالیف الاضافی فی [اسفل سافلین] ولکن
ان جعلت [سافلین] حالا وہو احسن کان [اسفل] عاما مشیرا الی قصۃ آدم
وہبوطہ مع ذریتہ سواء جعلتہ ظرفا او حالا وعلی ہذا الاستثناء منہ واما [سافلین
ففیہ وجہان۔ الاول ان تجعلہ ایضا عاما فان اللہ تعالیٰ لم یردہم الی اسفل الابدان

اختار الانسان سفلا لنفسه وعلى هذا تكون حرف الا للاستدراك اى لكن المومنين بعد ان كانوا سافلين حين اهبطوا انهضوا وتابوا فلهم اجر دائم - وهذا تاويل حسن راجح كما هو ظاهر. والوجه الثانى ان تخرج المومنين من [سافلين] وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا اى المومنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين ولكنهم عرجوا من السفل الى العلو واما الكافرون فبقوا فيما ردوا اليه بل ازدادوا سفلا -

(١٢) (فى تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين - احكم الحكمين])

ذهبوا فى تاويله الى قولين : الاول - فاى شى يكذبك ايها الانسان بالدين - واختاره مجاهد فانه لما قيل له عنى به النبى قال معاذ الله انما عنى به الانسان واختاره الزمخشرى ثم زعم ان [يكذبك] معناه يلجئك على التكذيب وهذا تاويل حسن لو ثبت ولعله اخذه من انكار مجاهد فان التكذيب بهذا المعنى يمكن ان ينسب الى النبى ولكنه لم يات بشاهد على هذا المعنى - والثانى - فما يكذبك به اى بعد ذلك بالدين وذهب اليه الفراء وهو مصيب فى انه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول، لكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام فانه ليس فى الكلام ما يناسبه خطاب النبى بهذين الاستفهامين ولا التفريع بقوله تعالى [فما يكذبك] ، ولا التاكيد بقوله تعالى [بعد] فالظاهر الاقرب من السياق وحسن النظم ما ذهب اليه مجاهد مع ان التكذيب ... مكذب على ما يوجد فى كلام العرب وعلى هذا يسوغ تاويلان - الاول - فاى شى ... ايها الانسان بعد هذه الشهادات يخالف ... وقوع الدين ... يكذب ... يكون الخطاب بالانسان ... ما يكون تثبيتا لمن آمن بالدين وتنبيها ... وفيه على هذا ايقين اختيار كلمة ... الناس ... المكذبون بالدين ... وتنبيها واما الدلائل والشهادات فلعل فيها ما يكذب به ... الى محض

الدلائل فيعلموا انه ليست فيها ما يكذبهم به. و الثاني. فاي شئ من الاماني و الظنون يخالج صدرك في امر الدين بعد ان دلت الوقائع و الشواهد و على هذا يكون وجه الخطاب الى المنكرين خاصة و لهذا الخطاب نظائر و منها قوله تعالى [يايها الانسان ما غرك بربك الكريم] و يؤيده ما جاء من اظهارهم الظن في امر الدينونة كما اخبر الله تعالى عن قولهم [ان نظن الا ظنا و ما نحن بمستيقنين] و كلا التاويلان واضح حسن كما يظهر. الله تعالى اعلم و علمه احكم. فمفاد الاستفهام الاول على كلا التاويلين ان تقر الانسان بالدينونة و يترك ما يلقي اليه من الشبهات سواء كان من الناس او من قبل نفسه بعد ان كثرت شواهدها و ظهرت براهينها. و مفاد الاستفهام الثاني ان يذعنوا بالدينونة لكونها من صفات الرب تعالى فكانه قيل لهم اليس الله باحكم الحاكمين فكيف يمكن ان يترك الانسان سدى غير مجزي خيارهم كاشرارهم كما قال تعالى [افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون] ۔

(١٣) (في نظم السورة بما سبق و بما لحق و فيه اثبات هذه البعثة)

تضمنت السورتان السابقتان ما حمل النبي من اعباء هذه البعثة العظمى التي اسس بنيانها بيده ابراهيم و اسمعيل عليهما السلام و جعل لاجلها هذا البلد مامونا من كيد الاعداء و لذلك اسكن فيه ابراهيم ذريته و مع ان الله تعالى انزل امرها و نشئ ضعفها خلقة الى مدة ... عهده ما قلناهم حتى اشرقت نور اتم فبعث فيه هذا النبي ليكمل مقصد بناء هذا البلد. هو التوحيد الكامل و المواساة بالضعفاء. و الرب تعالى حكيم بيده المصالح و جعل لكل امر اجلا مسمى فذكر في هذه السورة تبين كيف يربي الانسان بالحكمة و يقيم من بينهم امة بعد امة و يعطيهم الامانة و يرث قوما ليضع قوما يذنبهم بما ادنوا العهد و الامانة كما قال تعالى [وهو الذي جعلكم خلئف الارض

ورفع بعضكم فوق بعض درجٰت ليبلوكم فيما آتٰكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم]
فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد وان هذا مبني على سنة الله بالانسان
من اول امره ومما ذكرنا تبين ان غاية هذه السورة اثبات هذه البعثة اثباتا ليماكون
الرب تعالى ديانا واحكم الحاكمين واثباتا تاريخيا كان سلسلة وجدت كلها الا الحلقة المتمة
او كان قصرا اتم بنيانه الا اللبنة الاخيرة كما بشر بها المسيح عليه السلام وجاء في
الحديث الصحيح. وذكر مكة باسم البلد الامين ليشير الى دعاء ابراهيم عليه السلام
حين دعا لهذه البعثة ولامة مسلمة تقوم بفرائضها فلما بعث الله هذا النبي امره بامر واحد
وهو رد الحنيفية البيضاء الى كمالها وهو الاسلام واقامة السلم في الناس وجعل
طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية كما اخبر الله تعالى عن دعاء
ابراهيم حين دعا لهذا البلد وبنى هذا البيت الحرم [ربنا واجعلنا مسلمين لك و
من ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم،
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيٰتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم] وقد اوضح الله لنا رباط هذا البلد الامين والاسلام وتلاوة القرآن
وان ذلك هو غاية هذه البعثة المتمة حيث قال تعالى [قل انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة التى حرمها وله كل شىء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن]
فبحسب هذا الربط اتبع هذه سورة البلد الامين سورة اقرء.. وجعل نعمة القرآن غاية
خلق الانسان والبرهان على كونه احسن تقويم وبين ذلك في السورة التالية
فقال [اقرء باسم ربك الذى خلق] الى قوله [وعلم الانسان مالم يعلم] واقرب
منه قوله تعالى - [الرحمن. علم القرآن. خلق الانسان علمه البيان] فدل على ان
القرآن مثل خلق الانسان من اوضح مظاهر رحمته فجمع بينهما فانه يعطى كل شىء حسبما
جعله مستعدا له كما هو مبسوط في موضعه وبالجملة فكون الانسان في احسن تقويم

تتبعہ ان یعطی القرآن، فان ذلک ہو الرجوع الی احسن تقویم و
بروز ما اودع فی فطرتہ من الکمال۔ ہذا و اللہ تعالےٰ
ہو الملہم للرشاد و الموفق للسداد و آخر دعوانا
ان الحمد للہ رب العالمین و الصلوۃ علی
محمد النبی الامین، و آلہ وصحبہ
اجمعین

فہرس مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

تطلب من مدرسۃ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڈھ۔

تفسير

سورة

[illegible]

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف أعظم گڑھ

الهند

تفسير سورة الكوثر

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

سورة الكوثر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

إِنَّا أَعْطَيْنٰكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

(في عمود السورة وربطها بما قبلها وما بعدها)

١- قد مر في تفسير السورة السابقة - انها نزلت في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة لما انهم افسدوا الحج ومناسكها وابطلوا حقيقة الصلوة والنحر بابطال التوحيد والمواساة بالمساكين فباؤا بالويل واللعنة، وحق لهم ان يسلبهم الله هذا الخير ويعطيه من استحقه حسب سنته كما قال [وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم] وكان الله تعالى ينزع ولاية الكعبة عن الخائنين فبهذه السورة بشر الله تعالى نبيه بانه اصطفاه وامته لولاية بيته المحرم ومسكن خليله وذريته التي يبارك بها الامم، كما جاء في التوراة ولذلك سمى الله تعالى هذا البيت [مبركا وهدى للناس] ولا شك ان هذا العطاء هو الفوز الاكبر والخير الكوثر وهو الضمان للحوض الكوثر الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة، فموضع هذه السورة بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة والعطاء بعد السلب والمستخلفين بعد المهلكين، وذلك اسلوب عام في القرآن، ذلك ولما كانت السورة التالية في اعلان الهجرة من حوارمة حسن في نظم الكلام تقدم سورة التشه

والتسلية ليدل القرآن بتلمه على ان الله تعالى قضى باليسر قبل العسرة وان كان وقوعه بعدها، فترى ان اعلان الهجرة الذى تضمنته سورة الكافرون وضع بين سورتي التبشير اعني سورة الكوثر وسورة النصر ثم لما كانت هذه السورة بشارة للنبي بكثرة اتباعه وبقطع اعدائه عن بركات الكعبة جاءت سورة الكفرون بيانا لاصل هذه المقاطعة وهو التوحيد الذى بني عليه هذا البيت الله الواحد. فهذا اجمال القول في عمود السورة وربطها، واما الاطمينان بما ذكرنا فيرجي من تفصيل يتبعه۔

(تفسير كلمة كوثر وتاويلها)

٢- اعلم ان تاويل هذه السورة مخبوء تحت كلمة كوثر، فالاولى ان نبحث اولا عن معناها وقد اختلف فيه اقوال السلف رحمهم الله فلابد من بسط الكلام حتى تبين القول الراجح والتاويل الواضح والله تعالى هو الموافق للسداد.

لايخفى ان الكوثر مبالغة الكثير فهو ذو كثرة عظيمة وبركة وثروة فان الكثر هو الثروة وقد سموا به الرجال كما سموهم بكثير وكثير وترى استعماله على طريق الصفة في قول لبيد

وصاحب ملحوب فجعنا بموته — وعند الرداع بيت آخر كوثر

وفي قول امية بن ابي عائذ الهذلي ؎

يحامي الحقيق اذا ما احتدمن — وحمحم في كوثر كالجلال

فاستعمل الصفة بتقدير الموصوف اي في غبار كوثر، وقد جعلوا منه فعلا كما قال ابن بن لشقبة ؎

ابوا ان يبيحوا جارهم لعدوهم — وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

فالكوثر ههنا من جهة اللسان محتمل لثلاثة وجوه من التاويل ١ الاول انه منقول الى الاسمية فصار مختصا لشئ سماه الله تعالى بالكوثر۔ والثاني انه

صفة قد موصوفها فصار له بعض التخصيص كقولهم "مرد على جرد" اى رجال مرد على خيل جرد وكقوله تعالى [والذاريات] اى الرياح الذاريات و [ذات الواح ودسر] اى فلك ذات الواح ودسر وهذا كثير فى القرآن وكلام العرب ولكنه لا يوجد الا اذا كانت الصفة خاصة بالموصوف فيفهم من ذكر مجرد الصفة او دلت على الموصوف قرينة آخرى. **والثالث** انه وصف باق على عموم معناه كاسماء الصنف التى تقع على القليل والكثير ولا تخص وحينئذ يكون من جوامع الكلم و يحتمل كلما كان فيه خير كثير ويحمل حسب القرائن على بعض الافراد **واعلم** ان اصل ما نتمسك به فى تاويل الكوثر هو نظم السورة وموقع آياتها وربما معانيها وحسن تاويلها كما يتبين لك من النظر فى الفصول التى بعد الفصل السابع واما ذكر الوجوه الأخر وتطبيق الروايات فلدفع الشكوك عمن قل اعتناءه بمحاسن النظم ومعانى التاويل. وبعد ذكر هذا التمهيد نذكر اقوال السلف فى تاويل الكوثر.

(اقوال السلف فى تاويل الكوثر)

۳- ذكر ابن جرير رحمه الله فى تاويل الكوثر ثلاثة اقوال **الاول** انه نهر فى الجنة وروى ذلك عن عائشة رض وابن عباس رض وابن عمر رض وانس رض وعن مجاهد وابى العالية رحمهم الله **والثانى** انه الخير الكثير وروى ذلك عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة ومجاهد رحمهم الله **والثالث** انه حوض فى الجنة وروى ذلك عن عطاء رحمه الله ولا ارى فرقا بين القول الاول والثالث. وسمى بالحوض فى الموقف وبالنهر فى الجنة. فان ذلك الحوض من ذلك النهر الجارى **ثم** روى عن عكرمة الذى قال انه الخير الكثير ايضا انه النبوة و فى رواية انه القرآن وانه الحكمة وانه الاسلام- واختار ابن جرير رح

بعد ذکر ہذہ الروایات انہ اسم نہر فی الجنۃ مستندا علی روایات عن انس عن النبی صلے اللہ علیہ وسلم ولم یتجشم للتطبیق بین ہذہ الاقوال مع ان القائل بالقول الثانی ہو القائل بالقول الاول وکذلک منہم من قال بالقول الثانی. ثم قال تارۃ انہ القرآن والحکمۃ وتارۃ انہ الاسلام والنبوۃ. ثم یعلم من الروایات انہم کانوا یعلمون ان الکوثر نہر فے الجنۃ وقد اخبرہ النبی صلی اللہ علیہ وسلم وعرفہ لہم فکیف یختلفون بعد العلم لاسیما ہذا اجبر الامۃ وترجمان القرآن وتلمیذہ عکرمۃ فلابد من التامل فی کلامہم لیتخلص لنا لباب الحق خالیا عن التعسف.

(مآخذ اقوالہم وان مرجعہا الی امر جامع)

۴۴- اعلم ان من اراد من الکوثر ہہنا نہرا فی الجنۃ او حوضا فی الموقف فقد جعلہ اسما منقولا عن الوصفیۃ واعتمد فیہ علی ما اخبر النبی صلی اللہ علیہ وسلم عن الکوثر الذی یعطیہ اللہ فی الآخرۃ. ومن اراد انہ الخیر الکثیر اما بتقدیر الموصوف وہو الخیر فان الموقع موقع ذکر النعمۃ واما بجعل الصفۃ نفسہا خیرا کثیرا ومآلہما واحد. فالظاہر انہ تمسک بوجوہ **الاول** انہ لو کان منقولا الی الاسمیۃ لجاوت نکرۃ مثل سلسبیل وتسنیم وعلیین وسجین وغسلین ولعرفہ القرآن لکونہ عربیا مبینا والتسمیۃ وضع جدید فاستعمال الکوثر بلام التعریف مع انہ اسم شیء لم یعرفوہ یخرج القرآن عن العربی المبین فلا یحمل التسمیۃ علی طریق النص ولکن یراد منہ شیء فیہ الخیر الکثیر علی سبیل التاویل **والثانی** انہ من عادۃ القرآن ذکر عطایا الآخرۃ بصیغۃ المستقبل او بما یدل علیہ مثل قولہ تعالی [ولسوف یعطیک ربک فترضی] و [یبعثک ربک مقاما محمودا] **والثالث** ان ابقاء اللفظ علی عمومہ یجعلہ اوسع واجمع والقرآن انزل جم المعانی ثم الکوثر نفسہ یقتضی الوسعۃ

فالاقتصار لا يوافقه. ثم اعلم ان من اراد انه الخير الكثير لم ينكر الخير الذي جاء في كوثر الآخرة. انما جعلوه عاما وسيعا ثم بعد ذلک حملوه على نهر الجنة من عطايا الآخرة و من العطايا الموجودة الآن على القرآن والحكمة والنبوة والاسلام على سبيل التفصيل لا على جهة التسمية والتعيين - فذكروا كل الافراد مع ابقاء اللفظ على عمومه. ومن عادتهم التفسير بالقرآن. فحملوا الكوثر على القرآن لما وصفه الله بالمبارک و على الحكمة لقوله تعالى [ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا] ولا فرق بينهما فان القرآن جامع للحكم. وعلى النبوة لقوله تعالى [وما ارسلناک الا رحمة للعلمين] وكذا الاسلام بل الاسلام يشمل الخلق كله لقوله تعالى [وله اسلم من في السموات والارض] فهذه الاقوال كلها ماخوذة ومستنبطة من القرآن ومآلها الى امر واحد وان اختلفت الالفاظ. واما ما ذكر الامام الرازي رحمه الله من كثرة الاولاد والعلماء والاتباع والفضائل ورفعة الذكر والخلق الحسن والمقام المحمود وهذه السورة وجميع نعم الله وهذا الآخر نقله عن ابن عباس رض فبعضها يرجع الى ما قدمنا وبعضها لا يناسب لفظ الكوثر ومع ذلک كلها داخل تحت عموم اللفظ ولكن تفسير السلف اقوم واوضح استنباطا والمقصود مما ذكرنا ان ههنا مذهبين فحسب لا مذاهب كثيرة كما يظهر بادي الرأي وهو ان الكوثر اما هو شيء خاص بعينه من حوض او نهر او حكمة او قرآن وامثال ذلک - او هو عام يشمل كلما كان ذا خير كثير ومعتمد القائل بالتعيين ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه بهذا الاسم ومعتمد القائل بانه يشمل النهر وغيره تطبيق خبر النبي بالقرآن فاولوا القرآن حسب تقتضي عبارته ثم اولوا ما جاءهم عن النبي بما لا يخالفه فهذا جمع بين التاويلين فانه لا تباين بين العام والخاص وكذلک جمع سعيد بن جبير بين قولي ابن عباس رض كما روى ابن جرير" قال حدثنا ابو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

قال الکوثر نهر فی الجنة حافتاه من ذهب و فضة یجری علی الیاقوت و الدُّر ماؤه ابیض من الثلج و احلیٰ من العسل،، و روی ایضا و کذا فی صحیح البخاری "قال حدثنی یعقوب قال ثنی هشیم قال اخبرنا ابو بشر و عطاء ابن السائب عن سعید بن جبیر عن ابن عباس انه قال الکوثر هو الخیر الکثیر الذی اعطاه الله ایاه قال ابو بشر فقلت لسعید بن جبیر فان ناسا یزعمون انه نهر فی الجنة قال فقال سعید النهر الذی فی الجنة من الخیر الذی اعطاه الله ایاه،، فهذا توفیق بین القولین توفیق الخاص بالعام ثم ان امکن التوفیق التام بین القرآن والحدیث بان یقال ان الکوثر الذی اعطاه الله رسوله فی الدنیا هی التی فی الحقیقة حوض فی الموقف و نهر فی الجنة کان ذلک احسن توفیقا و قد وجدناه ایضا احسن تاویلا و نذکره فی الفصول الآتیة بعونه تعالیٰ۔

(اللوامع الدالة علیٰ ان الکوثر هو الکعبة وما حولها۔)

۵۔ قد ظهر مما سبق ان السلف رحمهم الله لم یختلفوا فی کوثر الآخرة ولکن حملوا اللفظ علی العموم و راعوا صیغة الماضی فذکروا ما یدخل فی مدلول هذا الاسم لیکون اللفظ عاما و سیاکوثرانی دلالة و لذلک ساغ للتاخرین من المفسرین التماس امور اخر غیر ما روی عن السلف فلو کان القول فیه بدعة و ضلالة لسکتوا او لسکت السلف و لم یختلفوا فان التمست قولا یجعل الکوثرین واحدا لم ار فی مخالفا للسلف کما انی لا اراهم مخالفین بعضهم لبعض بید انهم جعلوا الکوثر عاما فحملوه علی حوض او نهر فی الجنة و علی غیره مما فیه الخیر العظیم من القرآن و الحکمة والاسلام والنبوة من غیر رعایة مناسبته بالحوض او النهر و اما انا فاحمله علی ما هو اشبه شئ بحوض او نهر و صفة النبی و کشف له فی لیلة المعراج فان الله تعالیٰ اراه

فيه حقائق امور اخر وروحانيتها من الامور التي في الدنيا فكذلك اراد روحانية الكوثر الذي اعطاه في الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يصرح بما يكشف له كما قال في امر سورتي البقرة وآل عمران انهما تاتيان كغمامتين. وان الدنيا تاتي كعجوز شمطاء، وان الموت ياتي في صورة كبش ربما يكتفي بالاشارة لكي يتفكروا ويستنبطوا فيكون تعليما وتربية لعقولهم. فان لم يبلغنا التصريح منه عليه الصلوة بان الكعبة تكون يوم القيامة حوضا كوثرا فقد دلنا باشارات وقد رغّبنا في التفكر والتوسم والان نذكر ما كشف لنا من اللوامع الدالة على ما ذكرنا. الاُولیٰ ان النفوس لها شوق وتا الى الرب ولا تطمئن بعد اعنه وهذه الفطرة منشأ الديانات في الناس حتى لا تخلو عنها امة وما يعبر عن هذا الشوق الروحاني غير العطش وكثر في الزبور هذا التمثيل فان صح ذلك فالموحدون عند الحج لا اشبه شيء بالعطاش المجتمعين عند حوض بعد مقاساة الظمأ الشديد فالكعبة لهم في الدنيا هي كالحوض الكوثر الذي يردونه في الحشر. والثانية ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه مساجدنا بالنهر كما روى البخاري في صحيحه قال عليه السلام "ارأيتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا" الحديث. فهذا تمثيل من جهة اخرى للماء فان الماء كما انه رواء فكذلك هو طهور. ولا شك ان مورد صلواتنا هذا البيت الذي بمكة فكان لا جداول في كل مكان يصلون فيه والثالثة انه كما تستعلن كثرة هذه الامة على الامم عند الكعبة فكذلك تكون عند الحوض ولا شيء ادل على كثرة هذه الامة من اجتماعهم في موضع واحد وان هذا الاجتماع لادل على كثرتهم لعلم الناس بان هذه الجماعة انما هي قطرة من بحر امته الممتد على بسيط الارض فكما تتضح زيادة هذه الامة على امم النبيين الآخرين في القيامة عند اجتماعهم على الحوض فكذلك ترى كثرتهم حول الكعبة في الموسم. فاسم الكوثر اظهر مطابقة بها. والرابعة ان النبي صلى الله عليه وسلم

اخبر انہ یعرف امتہ علی الحوض بآثار الوضوء وفیہ اشارۃ الیٰ ان الذین یردون
ہذا البیت بقلوبہم ہم الذین یردون فی الآخرۃ ذلک الحوض الذی ہو حقیقۃ
ہذا البیت ۔ **والخامسۃ** ان اللہ تعالیٰ قد جعل استخلاص الکعبۃ ینبوعا للکثرۃ فدخلوا
فی دین اللہ افواجا بعد الحج الاکبر۔ **والسادسۃ** ان اللہ تعالیٰ سمی مسجد مکۃ مبارکا
حیث قال [ان اول بیت وضع للناس للذی ببکۃ مبٰرکا وہدی للعلمین] و
جعل اللہ لہذا البیت من البرکۃ ما عم فیضہ جمیع العرب بل جمیع العالم کما وعد ابراہیم
علیہ السلام فظہرت برکتہ فی اسمعیل اکثر من برکۃ اسحق کما مر فی تفسیر سورۃ الفیل
ولا یخفی ان کل ہذہ البرکات من ہذا البیت ومن الصلوۃ والنحر واما تسمیۃ
القرآن بالمبارک فمن جہۃ کونہ کالمطر النازل من السماء فسماہ مبارکا کما سمی المطر
مبارکا فکما ان المطر یحیی الارض فکذلک القرآن یحیی القلوب فتسمیۃ القرآن
بالمبارک لا تجد فیہا ما تشبہ بالحوض والبلاغۃ تنکر ہذا التشبیہ لعلو مکانۃ القرآن
وسعتہ التی لا نہایۃ لہا۔ **والسابعۃ** ان ہذہ السورۃ نزلت یوم صلح الحدیبیۃ
الذی فتح باب الوصول الی بیت اللہ والحج والصلوۃ والنحر وظہور الاسلام
بکثرۃ حتی سماہ اللہ فتحا مبینا۔ ونتکلم علی زمان نزولہا فی الفصل الرابع عشر
ببعض البسط ان شاء اللہ تعالیٰ۔ **والثامنۃ** ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم
اخبر عن موضع طرف من ذلک الحوض فاشار الی الباقی کما روی البخاری
فی صحیحہ "قال علیہ السلام ما بین بیتی ومنبری روضۃ من ریاض الجنۃ ومنبری
علی حوضی"، فیستنبط من ذلک ان ہذہ الارض المبارکۃ التی یتردد فیہا الحجاج
ہی التی تصیر حوضہ الکوثر الذی اخبر عنہ ومنبعہ الکعبۃ والی ہذا اری اشارۃ فی قولہ
علیہ الصلوۃ والسلام کما روی البخاری فی صحیحہ وہی **التاسعۃ** ان النبی
صلی اللہ علیہ وسلم خرج یوما فصلی علی احد صلوتہ علی المیت ثم انصرف

الى المنبر (اى منبره فى المسجد فقام خطيبا) فقال انى فرط لكم و انا شهيد عليكم و انى والله لانظر الى حوضى الآن وانى اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها الفرط من يتقدم القوم الى الماء ليهئ لهم الارسان والدلاء ويملأ لهم الحوض. وشهيد عليكم اى يعرفهم ويشهد على كونهم من امته فيكون ذلك شفاعة لهم. هذا بيان ما يقع فى الآخرة ثم اشار الى ان ظاهر ذلك الحوض بين يديه فان منبره على حوضه كما مر آنفا وما ذكر من اعطاء مفاتيح الارض فذلك ما انجزه الله تعالى فان فتح مكة كان مفتاحا لفتح الارض وخزائنها والعاشرة انه عليه الصلوات اخبر ان طول حوضه ما بين مكة والمدينة فاشار اشارة لطيفة الى المطابقة التى بين ارض الحرم وحوضه فان قيل فهلا ذكر ما اراد بالتصريح قلنا انما اختار هذا الاسلوب لكثرة دلالته وليتفكروا فدل على كثرة الامة وفتح مكة وكثرة اجتماعهم فى الحج وفى الموقف على حوضه. وانما ذكرنا هذه الامارات تمهيدا وتائيدا لما دل عليه نظم الآيات كما ستتضح لك ان شاء الله تعالى. هذا تمام التدبر فى هيأة الحوض الكوثر يدلنا على ما ذكرنا من كون الكوثر الاخروى صورة روحانية للكعبة وما حولها. ونذكر ذلك فى الفصل الآتى -

(النهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من تردد الحجاج)

٤- من تامل فى صفة النهر الكوثر الذى كشف للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرج به يجده مثالا روحانيا للكعبة وما حولها وذلك لما روى من طرق كثيرة من ان الكوثر نهر على حافته قباب الدر المجوف وارضه ياقوت ومرجان وزبرجد وفيه آنية مثل نجوم السماء، وماؤه ابيض من اللبن واحلى من العسل وابرد من الثلج. وتربته اطيب من المسك، ترده طيور اعناقها كاعناق الجزر.

قال رجل انها لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وخرير
ماءه مثلما يسمع احدكم اذا ادخل اصبعه في اذنيه . وحصل لنا بهذا الوصف بجمع الروايات
ولفظ البخاري " قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك قال فضرب الملك بيده
فاذا الطينه مسك اذفر " فقف ههنا وتامل الكعبة وما حولها حين ترد عليها الموحدون من
اقطار الارض يلفظون غليل شوقهم الى ربهم البيت حصباء بطحائها عند حسهم الروحاني
اكرم وابهى من الياقوت والزبرجد وترابها اطيب من المسك وقباب الحجاج
حولها احسن من الدر . ثم تامل مع ورود الحجاج ورود البدن كالطيور على الماء
وذلك اسعد حال لهن فانهن يتقربن الى الله نيابة عن الانسان فكانهن من
الانسان فما اعظم فوزهن . ثم تامل آكليهن ضيوف الله الناعمين المتبجحين وتامل
كيف اشار بتشبيه الطيور الواردات بالبدن وذكر آكليها الى ان البدن
هي الطيور وكيف جعل الاشارة لطيفة فشبه اعناق الطيور باعناق البدن
ليدل الجزء على الكل وكيف جانب لفظ البدن وذكر الجزء وكل ذلك ليحث
العقول السليمة على الاستنباط كما ذكر الله الدلائل في القرآن ويتبعها بمثل قوله
[ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون] " ويعلمون " " ويتفكرون " . والنبي احسن
المعلمين فكان يربي العقول ويعلمهم الحكمة . وكان ربما يسأل اصحابه عن مناسبات
الامور كما سأل عن مثل المومن في الاشجار وكذلك كان عيسى يضرب لهم
الامثال فانه لم لا يصرح القول فاجابهم فيها الا العقلاء وكذا في القرآن
[وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون] وجملة الكلام ان للاشارات
محلا وحكمة في التعليم والتربية . ذلك .

(نظير ذلك ما جاء من روحانية ارشليم)

٧- ويشبه ذلك ما جاء في مكاشفات يوحنا ص٢١ « وذهب بي الروح الى جبل عظيم عال واراني المدينة العظيمة اورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله لها مجد الله (اي عليها نور من الله) ولمعانها شبه اكرم حجر كحجر يشب بلوري (ثم ذكر سورها ومسافتها وابوابها وسكانها من اسباط اسرائيل ثم قال) كان بناء سورها من يشب والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي واساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم. الاساس الاول يشب الثاني ياقوت ازرق. الثالث عقيق ابيض. الرابع زمرد زبابي. الخامس جزع عقيقي. السادس عقيق احمر. السابع زبرجد. الثامن زمرد سلقي. التاسع ياقوت اصفر. العاشر عقيق اخضر. الحادي عشر اسمانجوني. الثاني عشر جمشت. والاثنا عشر بابا اثنتا عشرة لؤلؤة كل واحد من الابواب كان من لؤلؤة واحدة. وسوق المدينة ذهب نقي كزجاج شفاف » ثم ذكر انه ليس فيها هيكل ولعبيد ون الله وحده ولا آمن بعض التحريف والزيادة فيما نقلوا وانما المقصود ان المثال الروحاني لما في الدنيا من الاعيان والاعراض امر معروف معلوم. وهذا الوصف الذي ذكره يوحنا يكشف ما تحته الباصرة فقط وما جاء في وصف روحانية الكعبة فقد جمع اوصافا لكل حاسة حتى السمع بما ذكر من خرير ماء ولها وخرير الماء من البعيد لاشهي واحلى للعطشان. ثم الماء والحلو البارد اقرب تادية لما يطفئ شوق الموحدين المخلصين العطاش الجياع له. وعنهم اخبر المسيح عليه السلام بقوله « طوبى للجياع والعطاش لانهم يشبعون ».

(تاويل قوله تعالى انا اعطينك الكوثر)

٨ - بعد ما فهمنا دلالة كلمة الكوثر اتضح لنا معنى الآية الاولى وهو انها اخبار عما اعطاه الله تعالى من البركة وكثرة الامة واخبر به حين دنا انجازه في الدنيا لكي يبشر النبيّ ثم المسلمين بظهور الاسلام وانتشاره في البلاد وبفتح مكة اي اعطاك الله امة عظيمة من المصلين المنفقين يحجون بيت الله الحرام كما قال تعالى [واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ؛ (اي المصلين) واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ؛ (اي ياتوا لزيارة البيت من القرب رجالا ومن البعد تضمرله الركاب ومن اقطار الارض فيدخلوا مكة من كل فج ولكثرة السالكين تصير الفجاج عميقة) ليشهدوا منافع لهم (اي تصير هذه البلدة مثابة لهم فينتفعون بالتجارة ويخالط بعضهم بعضا آمنين فيصلح بالهم ويصلوا ارحامهم وكانت سنة الخطيب في العرفات ان يحثهم على الصلح وصلة الرحم ولذلك سموا مكة صلاح وام الرحم فما اكبر نفع ذلك في معاشهم) ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (وهذه منفعة دينية فمع شركهم لم يتركوا ربهم وانما اتخذوا اليه شفعاء) فكلوا منها واطعموا البائس الفقير] فبين ان هذا البيت جعل مركزا للتوحيد والصلوة واطعام الفقراء لامة كثيرة يحجونه من جميع البلاد وقد كان ابراهيم عليه السلام دعا الله ان يبعث نبيا لهذه الامة الكثيرة وقد استجاب الله دعوته وقد وعده الله تعالى كثرة في ذريته لاسيما في ذريته من اسمعيل كما جاء في التوراة واعترف بذلك اهل الكتاب وقد ذكر الله تعالى هذا العطاء في اوائل بعثته نبيا حيث اخبره في سورة الضحى بقوله [ولسوف يعطيك ربك فترضى] فهذا الوعد الذي ذكرنا قرابه جعله مقتضيا لقوله [انا اعطينك]

وفسر معنی [فترضی] بکلمة الکوثر فان النبی صلی الله علیه وسلم لغایة رأفته وحرصه علی الهدایة لا یرضی بالقلیل او بان یعطیه الکثیر فی الدنیا فیدخلون فی دین الله افواجا ثم یسلبه ایاهم فی الآخرة حتی یقلوا علی حوضه فازاح کل شبهة بکلمة ترضی والکوثر وقد کثرت الاحادیث الصحاح بکثرة امته . فهذه الآیة الاولی بشارة عظیمة من وجوه . من قرب الفتح ، وقرب دخول الناس الکثیرین فی امته ، وبقاء جماعة کثیرة منهم علی الدین الحق علی رغم من یزعم بردة اکثر هذه الامة . ذلک وتاتیک بشارة جمة عن قریب ان شاء الله تعالے فان السورة کلها بشارات ولله الحمد فی الآخرة والاولی -

(تاویل قوله تعالی "فصل لربک وانحر" وبیان ربطه بما قبله)

۹- هذه الآیة تدل علی اربعة امور الاول ان الصلوة والنحر لهما ربط بهذا العطاء لما صدر الامر بالفاء والثانی ان فی الآیة امرا وایجابا بهما عموما علی سبیل الانفراد وخصوصا بجمعهما وذلک فی الحج . والثالث ان بین الصلوة والنحر ربطا خاصا والرابع اختصاصنا بهذه العطیة والامر بالصلوة والنحر معا ویهدی ذلک الی انا علی سنة ابراهیم دون المشرکین ومبتدعی الیهود والنصاری لان المشرکین لم تکن صلوتهم ونحرهم للرب خالصا . ومبتدعة الیهود لم یکن لهم غیر القرابین وان قرابینهم لا تسمی نحرا فان النحر مخصوص بالابل وهو حرام علیهم . ومبتدعة النصاری لیس لهم قربان اصلا والصلوة غیر واجبة علیهم بزعمهم . فهذه جملة الکلام ولا بد لها من بعض التفصیل ونأتی به فی عدة فصول اما الامر الاول والثانی فتجدهما فی هذا الفصل و سیاتیک البواقی فیما بعد . فاعلم ان الله تعالی بعد ما بشر النبی والمسلمین بهذه العطیة عقب البشارة امرین الصلوة والنحر . والتعقیب یدل علی نسبة

وربط بين السابق والتالي اي العطية والامر فلما تدبرنا فيما دل عليه نظم الكلام ظهر لنا بعض وجوه الربط بتوفيق الله تعالى فنذكرها والحمد لله تعالى. الاول ان هذا الامر يتضمن بيان مقصد هذا العطاء. فان هذا العطاء كان لمقصد عظيم كما قال تعالى [الذين ان مكنهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر] وكما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام [ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم] اي ياتون اليهم يحجون بيتك. فعلنا ان هجرة ابراهيم وسكناه في واد قفر وارض عاقر لم تكن الا لاقامة مركز لعبادة الله الواحد يتوجهون نحوه ويأتون اليه من البعد يطوفون ويسعون ويقدمون اليه الهدايا كالعبيد يسعون على باب مولاهم الذي دعاهم فاسرعوا اليه قائلين «لبيك لبيك لا شريك لك لبيك»، ثم يسمعون بامر الرب ونهي عنه على لسان امامهم. ولذلك قال تعالى [واذن في الناس بالحج ياتوك] اي ياتوا اليك لاستماع الحكمة. فان الله تعالى جعله اماماً للناس كما جعل ذلك البلد مثابة وبركة وهدى لهم فكان يقربهم ويقوم فيهم خطيبا وكذا اقرى النبي عشيرته حين قام ببعثته ودعاهم الى الرب. وقد استمرت سنة الخطبة بعد ابراهيم مع سائر سنن الحج كما مر في تفسير سورة البلد. ثم يطعمون الناس بما ساقوا من الهدايا ويأكلون منها شاكرين بان تقبل الرب هدايا عبيده ثم اعطاهم ما قربوا اليه. فقد تبين ان هذا البيت انما وضع لمقاصد عظيمة بها اعطاهم التمكين في الارض وان معظمها الصلوة والنحر فذكرهما بعد ذكر اعطائه ليعلموا ان هذا العطاء له حق وغاية. ليقيموا الحقه ويتموا ما لاجله اعطوه. وذلك مبني على وجوب ايفاء الحقوق. فان لكل عطاء حقا لا بد ان يوفى به كما قال تعالى [ليبلوكم فيما آتاكم] وايضاً [احسن كما احسن الله اليك] وايضاً [وآتوا حقه يوم حصاده] الثاني انه تعالى عقب ذكر العطية ذكر ما به بقاؤها فامر بالصلوة

والنحر امرا عاما فان ہذہ العطیۃ کانت للنبی وامتہ عامۃ فان النبی وکیل امتہ فما اعطاہ اعطی امتہ ولذلک قال علیہ السلام انا فرطکم علی الحوض کما مر فکذلک الامر بالصلوٰۃ والنحر عام وہو ظاہر. فلما ربط عبادۃ بعطیۃ علمنا ان الامتثال بہ یضمن بقاء نعمۃ وقال تعالیٰ [ان اللّٰہ لا یغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بانفسہم] وہذا الذی امرنا بہ ہو الحج ومناسکہ کما ہو ظاہر فکانہ تعالیٰ قال انا اعطیناک الکوثر فاحفظہ فیبقی لک ہذا العطاء. وسواء اخذت الصلوٰۃ والنحر بمجموعہما او بالفراد ہما کان المراد ہو الحج. فان الحج من الصلوٰۃ لما جاء فی الحدیث ولما دل علیہ اعمال الحج وقد علمنا ان مقصد البیت الصلوٰۃ ولذلک بنی کما مر فمن لم یحج وقد امکنہ لم یتم مقصدہ. وکذلک النحر فان من ضحی فی غیر الحج ترک اعظم الاضاحی والذی یضحی فی غیر الحج فانما ہو متشبہ بالحجاج وہو یرید وینتظر ان یجد سبیلا فیحقق ما یرید. فبای وجہ اخذت دلت الآیۃ علی ان الحج یلزم الامۃ فمن استغنی عنہ اخرج نفسہ عنہم. وہذا یتضح من النظر فی حقیقۃ الحج وقد صرح بذلک القرآن والسنۃ قال تعالیٰ [وللّٰہ علی الناس حج البیت من استطاع الیہ سبیلا ومن کفر فان اللّٰہ غنی عن العلمین] فذلک تصریح بکفر من استغنی عن الحج وان اللّٰہ تعالیٰ لا یبالی بہ. **والثالث** انہ یتضمن تسلیۃ النبی والمسلمین کانہ قیل لہ انہم اخرجوک ومنعوک عن الصلوٰۃ والنحر فالآن بعد ما اعطیناک الکوثر لا مانع لک فافعلہا بفراغ بالک وبقدر شوقک باکثار النحر وبجماعۃ عظیمۃ حتی یتحقق معنی الکوثر. وقد علمنا شوق النبی والمسلمین الی الحج والصلوٰۃ والنسک والامر بعمل مرغوب مع کونہ امرا یتضمن التبشیر والتسلیۃ واظہار الرأفۃ. **والرابع** انہ بیان عہدنا باللّٰہ تعالیٰ جعل الامر بالصلوٰۃ والنحر مرتبا علی عطیۃ فاذا قبلنا العطیۃ اوجبنا علی انفسنا ما امرنا بہ ومتی ما بقینا علی طاعۃ امرہ یبقی لنا ما اعطانا. فصار اخذ العطیۃ عہدا باللّٰہ کما اعطی اللّٰہ آدم وحواء علیہما السلام المسکن فی الجنۃ لیاکلا

منہا رغدا ولا یقربا شجرۃ خاصۃ عرفہا لہا فلما اخذا العطیۃ وجب علیہما عہد اللہ و لذلک قال تعالیٰ [ولقد عہدنا الی آدم من قبل فنسی ولم نجد لہ عزما] وکذلک بقی لہا ما اعطاہما اللہ ما بقیا علی عہدہ ۔ وکذلک نری فی قصۃ ابراہیم کما قال تعالےٰ [واذ ابتلی ابراہیم ربہ بکلمت فاتمہن قال انی جاعلک للناس اماما قال ومن ذریتی قال لا ینال عہدی الظالمین] فبعد ما امتثل ابراہیمؑ با وامر ربہ تعالیٰ جعل لہ ربہ عہدا و ہذا العہد یبقی لذریتہ ما داموا قائمین بہ واما الظالمون فیحرمونہ ۔ والخامس انہ بیان عہد التوحید وقد صرح القرآن بذلک العہد وصرح بادلتہ کثیرا ۔ وجماعہا کونہ ربا منعما وقد اخذنا عطایاہ من الخلق وحسن التقویم والرزق الطیب وہذا عام وہہنا ذکر نعمۃ عظیمۃ خاصۃ فذکرہا وجعلت ہذہ النعمۃ علینا من التوحید فی صورۃ خاصۃ تناسب العطیۃ الخاصۃ بان اللہ تعالیٰ ہو الذی اعطانا ہذا البیت فلا بد ان تکون الصلوۃ والنحر لہ ۔ وفی ذلک ایضا تعریض علی الخائنین الظالمین ۔ وہذا الظہر من النظر فی کلمۃ [اِنَّا] و [لِرَبِّكَ] ای انا الذی اعطیناک فلابد لک ان تصلی وتنحر مخلصا لی خلاف ما فعل المشرکون وصرح بہذا المفہوم فی سورۃ الحج مرارا فلا حاجۃ الی ایرادہ ہہنا ۔ وہکذا فسر الآیۃ محمد بن کعب القرظی حیث قال ،، ان ناسا کانوا یصلون لغیر اللہ وینحرون لغیر اللہ فاذ اعطینا الکوثر یا محمد فلا تکن صلوتک ونحرک الا لی ،،

(وجوہ المناسبۃ بین الصلوۃ والنحر)

١۔ اعلم ان للصلوۃ والنحر وجوہا کثیرۃ ودل القرآن علیہا کلہا ولا حاجۃ الی استقصاء الوجوہ ہہنا وتجدہا فی کتاب المفردات وانما نذکر الآن منہا ما یدل علی المناسبۃ بینہما ۔ وہذہ الوجوہ وان لم یصرح بہا القرآن فانہا لا یخفی علی من تدبر فی آیۃ ونظم

كلماته انه بعد ذلك لايستطيع وفهما عن قلبه وكيف يصرف نفسه عن التأمل فى آياته من اليقن بحسن نظامه وقرع سمعه قوله تعالى [افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها] والمقصود ان مجرد ربط الصلوٰة بالنحر يحثنا الى التدبر فى وجوه المناسبة بينهما وذلك يطلعنا على حقائق عظيمة ونحن ذاكرون هذه الوجوه لالمجرد بيان حسن النظم بل ايضًا للكشف عن تلك الحقائق العظيمة حتى يتضح بعد النظر فيها ان السور القصار بنيت على معظمات الامور فلئن صغرن من جهة اللفظ فانها لكبار من جهة المعنى. والآن نشرع بعون الله تعالى فى ذكر وجوه المناسبة بين الصلوٰة والنحر.

فالوجه الاول ان المناسبة بينهما تشبه المناسبة التى بين الايمان والاسلام وبيان ذلك يقتضى تمهيدا فاعلم ان الدين مبنى على صحة العلم والعمل فالعلم ان نعرف ربنا ونسبتنا اليه ولا نذهل عن هذا العلم ويلزمه حالة قلبية من المحبة والشكر وتفيض الى الاعمال فالعمل متصل بالعلم اتصال الاثر بالموثر والظاهر بالباطن فالعلم من باب الايمان والعمل من باب الاسلام. ثم اعلم ان العمل كما يقابل العلم فكذلك يقابل القول فالقول وسط بينهما وهو اول ظهور الارادة وتحقيق العمل. وبعد هذا التمهيد انظر الى ربط الصلوٰة والنحر اما الصلوٰة فلا يخفى انها قول واقرار وجميع اوضاعها من القيام والقعود والركوع والسجود ورفع اليدين والاصبع اقوال بلسان الاوضاع فهى اول خطوة بعد الايمان وبها يفتح باب الاعمال ولذلك قدمت على جميع الشرائع كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى [الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوٰة] ولبسطناه فى تفسير سورة الفاتحة. وقد بين الله ذلك فى قصة ابراهيم حيث ذكر انه لما عرف ربه بالتوحيد قال [انى وجهت وجهى للذى فطر السمٰوٰت والارض حنيفا وما انا من المشركين] والصلوٰة تحقيق هذا التوجه الا ترى انك تفتح صلوٰتك بهذا القول. وكذلك ترى فى قصة موسىٰ كيف امره الله تعالى بعد ما اعطاه معرفة التوحيد

حیث جاء [فلما اتٰھا نودی یاموسی انی انا ربک فاخلع نعلیک انک بالوادی المقدس طوی، و انا اخترتک فاستمع لما یوحی، اننی انا اللہ لا الہ الا انا فاعبدنی واقم الصلوۃ لذکری]
ومثل ذلک قال تعالیٰ بعد ابطال الشرک [فاقم وجہک للدین حنیفا فطرت اللہ التی فطر الناس علیہا لاتبدیل لخلق اللہ ذلک الدین القیم ولکن اکثر الناس لایعلمون. منیبین الیہ و اتقوہ واقیموا الصلوٰۃ و لاتکونوا من المشرکین] فالصلوۃ فطرۃ المخلوقات کلہا ولذلک قال تعالیٰ [تسبح لہ السمٰوٰت السبع والارض ومن فیہن، وان من شی الا یسبح بحمدہ] وقال تعالیٰ [الم تر ان اللہ یسبح لہ من فی السمٰوٰت والارض والطیر صٰفّٰت، کل قد علم صلوتہ وتسبیحہ] فالصلوۃ من جمیع الاعمال امس بالایمان واول فیض منہ وکلہا جامع التوحید والانابۃ والشکر والتوکل والتبتیل الی الرب وانہا فطرۃ لجمیع الخلق. و اما النحر فہو جامع معنی الاسلام فان الاسلام ہو الطاعۃ واذعان النفس لربہا وتسلیم کلیتہا لمولاہا وہو ایضا فطرۃ العباد کالصلوۃ فان المخلوق لم یخلق الا باذعانہ لامر ربہ. امرہ بکن فکان واستجاب لدعوتہ فی بدء خلقتہ فان عصی بعد ذلک ناقض فطرتہ فالاسلام من ہذہ الجہۃ احاط بجمیع الخلق کما قال تعالیٰ [ولہ اسلم من فی السمٰوٰت والارض طوعاً وکرہا والیہ تحشرون]
ای استجبتم دعوتہ فی اول خلقکم وکذلک تستجیبونہا فی الآخرۃ فتحشرون الیہ کما قال تعالیٰ [فاذا دعاکم دعوۃ من الارض اذا انتم تخرجون] وقال تعالیٰ [فتستجیبون بحمدہ وتظنون ان لبثتم الا قلیلا] فالاسلام للرب والتسبیح والسجدۃ والصلوۃ لہ کلاہما فطرۃ وفی غایۃ الاتصال. واذ جعل اللہ تعالیٰ ابراہیم امامنا ومسجدہ قبلتنا وہدیہ سنتنا ولنا علی حقیقۃ النحر ایضا بقصتہ کما دلنا بہا علی حقیقۃ الصلوۃ فذکر تعالیٰ [قال انی ذاہب الی ربی سیہدین (ای انی مہاجر الی ربی سیہدینی صراطہ)
رب ہب لی من الصٰلحین (ای ذریۃ صالحۃ لنسلک بہم فتبین للناس سنن الہدیٰ

فبشرنه بغلم حلیم (ای اسمٰعیل و انما بشر اسمٰعیل ای سمع اللہ لما انہ کان جوابا لدعوتہ)
فلما بلغ معہ السعی قال یٰبنیّ انی اریٰ فی المنام انی اذبحک (ای اذبحک للہ) فانظر
ماذا تریٰ (انما سألہ لکی یشرکہ فی الطاعۃ فان مقصود ابراہیم کان ضرب طریق واقامۃ
سنۃ وقد علم من اجابۃ دعوتہ انہ یکون عاقلاً فاہن مخالفتہ) قال یٰابت افعل ما تؤمر
ستجدنی ان شاء اللہ من الصٰبرین ۔ (ففہم اسمٰعیل من قول ابیہ انہ لم یکن لیکرہ
الا بامر واجاب جواب المتوکلین) فلما اسلما وتلہ للجبین ۔ (ای لما حققا بذلک
کمال اسلامہما اما الوالد فلانہ اسلم ما کان احب الیہ من نفسہ واما الولد فلم یکن لہ
الا نفسہ) وناد یٰنہ ان یٰابراہیم قد صدقت الرؤیا انا کذلک نجزی المحسنین ۔ ان
ہذا لہو البلاء المبین (فبلغا بذلک درجۃ الاحسان وہو کمال الاسلام وصارا
بہذا البلاء المبین اماماین تاتم الہداۃ بہما) وفدینٰہ بذبح عظیم] ای فدینا الغلام
بذبح عظیم وہو اقامۃ سنۃ التضحیۃ ومغفرۃ المضحین بہا فتبین اللہ لنا بہذہ القصۃ ان
الاسلام اصلہ الطاعۃ وتسلیم احب ما عندہ للمولیٰ حتی النفس ۔ ولا یکون
ذلک الا بتمام الایمان والاخلاص ۔ وکمالہا الاحسان ۔ وہو "ان تعبد اللہ
کانک تراہ" ۔ فتبین ما قدمنا ان ربط النحر بالصلوٰۃ کربط الاسلام بالایمان
او کربط القول بالعمل وان الاحسان یجمعہما ۔

والوجہ الثانی ان النسبۃ بین الصلوٰۃ والنحر کالنسبۃ بین الحیوٰۃ والموت
وبیان ذلک ان الصلوٰۃ سرہا ذکر الرب لقولہ تعالیٰ [واقم الصلوٰۃ لذکری]
ایضاً [ذکر اسم ربہ فصلی] وہذا کثیرو المطلوب دوام الذکر لقولہ تعالےٰ
[یذکرون اللہ قیاماً وقعوداً وعلی جنوبہم] ایضاً [یٰایہا الذین آمنوا اذکروا اللہ
ذکراً کثیراً وسبحوہ بکرۃ واصیلا ۔ ہو الذی یصلی علیکم وملٰئکتہ لیخرجکم من الظلمٰت
الی النور وکان بالمؤمنین رحیما] ای کما انتم تذکرون اللہ وتسبحونہ فکذلک ہو

يصلي عليكم وملئكته وبذلك يزيد نوركم كما قال [فاذكروني اذكركم] ايضا [فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون] ولهذا السر ملأ ساعاتنا بالصلوٰة ولم يرخص عنها في حالة فظهر ان الصلوٰة كالتنفس لا بد منها فبذكر الرب تبقى الحيوٰة المعجزنا بالنور والسكينة والايمان. وذلك ظاهر عقلا فان توجه الرب ونظر رافته الى العبا بعد ما اعطاهم العقل والتميز لا يكون الا بان يتوجهوا اليه فانه يزيد النعم بالشكر واستعمال ما اعطى كما قال [والذين اهتدوا زادهم هدى] والتوجه اليه يكون بذكر اسمه فيتقربون اليه بهذا السبيل فانه لا معنى للقرب والبعد منه تعالى الا ذكره وانقطاعه عنه اعاذنا الله منها فاذا ذكروا ربهم اقتربوا منه كما قال تعالى [واسجد واقترب] فحينئذ توجه اليهم نظر رحمته واشرق عليهم نور قدسه وآكرم ح انما يشرب وتصبغ بالذكر والفكر فبدوام انفاسه في ذكر ربه تنزل عليه حيوة وقوة منه. وعن ذلك اخبرنا النبي عليه الصلوٰة كما روى البخاري "ما يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش"، وما هذا الا بيان الحيوٰة الروحانية التي هي الحيوٰة الحقيقة العليا فعلمنا ان الصلوٰة هي عين الحيوٰة وسلم النجاة من هذه الحيوٰة السفلى. واما النحر فحقيقتها تسليم النفس لربها كما دلت عليه قصة ابراهيم واسمعيل وجعل التضحية تذكارا لتلك القصة والبلاء المبين الذي ابتلى به الرب خليله. والمومنون يحققون ذلك التسليم باراقة مهجهم في سبيل الله فكما ان الصلوٰة حيوتنا بالرب فكذلك النحر موتنا له وذلك هو الدين والاسلام كما قال تعالى [قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم. دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا. وما كان من المشركين. قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين] النسك في هذه الآية هو الذبح في الحج والعمرة باتفاق المفسرين وكذلك هو في لغة العرب فجاء ضم الصلوٰة بالنسك واتبعها بالحيوٰة والموت دل بنظم الكلام

علی سرہا والنسبۃ بینہما علی اسلوب التواطوء فالصلوٰۃ ہی الحیاۃ للمسلم ونسکہ ہو مماتہ فی سبیل ربہ ثم ہما متحدان فان ہذا الموت ہو باب الحیوٰۃ ولذلک قال تعالیٰ [ولا تقولوا لمن یقتل فی سبیل اللہ امواتا بل احیاء ولکن لا تشعرون]

والوجہ الثالث ان الصلوٰۃ والنحر جانبان للنحر الحقیقی وبیان ذلک ان اللہ تعالیٰ لما خلق الانسان ذا عقل وارادۃ حاکما بالحسن والقبیح رفعہ اعلیٰ درجۃ ومع ذلک اقامہ علی شفا حفرۃ کما قال تعالیٰ [لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم ثم رددنٰہ اسفل سافلین الا الذین آمنوا وعملوا الصٰلحٰت فلہم اجر غیر ممنون] وایضا [ونفس وما سوٰہا فالہمہا فجورہا وتقوٰہا قد افلح من زکّٰہا وقد خاب من دسّٰہا] وذلک لان العبد اذا قطع النظر عن منعمہ واستغنیٰ عن ربہ حجب عن نورہ وراقہ الباطل المزخرف واتبع مراد نفسہ وصار الہوی الہہ۔ کما قال تعالیٰ [افمن اتخذ الہہ ہواہ واضلہ اللہ علی علم (ای بعد ان اعطاہ العقل والسمع والبصر کما قال [انا خلقنا الانسان من نطفۃ امشاج نبتلیہ فجعلنٰہ سمیعا بصیرا انا ہدینٰہ السبیل اما شاکرا واما کفورا] ای ان لم یستعمل ما اعطاہ الرب کان کفورا) وختم علی سمعہ وبصرہ وجعل علی قلبہ غشاوۃ فمن یہدیہ من بعد اللہ افلا تذکرون] ای بعد ان اعرض عن ربہ اطاع نفسہ فصرفتہ الی شہواتہا وصارت حجابا علی قلبہ کما قال تعالیٰ [کلا بل ران علی قلوبہم ما کانوا یکسبون۔ کلا انہم عن ربہم یومئذ لمحجوبون (ای کما حجبوا عنہ فی الدنیا فکذلک یحجبون عنہ فی الآخرۃ والعبد یرجع الی ما صمم الیہ فاذا تعبد واللنفس صارت ہی مولاہم فیرجعون الی حقیقتہا فقال) ثم انہم لصالوا الجحیم] فلما کان الانسان علی ہذہ الحالۃ لزمہ ان یکسر ہذا الصنم ولما کان ہوی النفس ذا جہتین سبعیۃ وبہیمیۃ لزمنا ان نکسر کلتا جہتیہا فہدانا لا ہانتہا بذبحین ذبح السبعیۃ وذبح البہیمیۃ۔ اما الاول فبالخشوع لہ والتذلل

بین یدیہ وجاعۃ الصلوۃ فان بہا یقع راس الکبر لان الخشوع من اعظم جہات
الصلوۃ کما قال تعالیٰ [قد افلح المومنون الذین ہم فی صلوتہم خشعون] وایضا
[واذکر ربک فی نفسک تضرعا وخیفۃ ودون الجہر من القول بالغدو والآصال و
لاتکن من الغفلین ۔ ان الذین عند ربک لایستکبرون عن عبادتہ ویسبحونہ ولہ
یسجدون] وایضا [وعباد الرحمن الذین یمشون علی الارض ہونا واذا خاطبہم
الجاہلون قالوا سلما والذین یبیتون لربہم سجدا وقیاما] انظر کیف قدم ذکر التواضع
علی صلوتہم فان الصلوۃ تزکیۃ النفس عن کبرہا ولایخفی ان من کان دائم الذکر
لربہ وکبریائہ ورحمتہ غشیتہ التواضع والرحمۃ ومثل ہذا النظم تری فی قولہ تعالیٰ [محمد رسول
اللہ والذین معہ اشداء علی الکفار رحماء بینہم تراہم رکعا سجدا] وانما بدء بذکر صفۃ
الشدۃ ہہنا لابطال الرہبانیۃ فان الحب لربہ کما یعظمہ ویکبرہ فکذلک یکون حبہ لذلک
الامر فلایبالی بمن خالفہ ویجاہربہ علی رغم المعاندین فلم یقدم الشدۃ الا لدفع توہم فان
الآیۃ فی صفۃ قوم علی غایۃ الاعتدال وکانت ہذہ الآیۃ فی خصائصہم حسبما جاء
فی التوراۃ والانجیل فقدم مایمتازون بہ عن اصحاب موسیٰ وعیسیٰ علیہم السلام
وبذلک ایضا نبہ علی کمال فضیلۃ العدل والاعتدال والجمع بین الضدین ولافضیلۃ فوقہ
فلم یذکر الشدۃ الا تاکیدا لتصحیح صفۃ التواضع والرحمۃ الناشئۃ من الخضوع للرب
فان خوف الرب والتواضع لہ ینفی کل خوف لسواہ کما قال تعالیٰ [فلاتخافوہم و
خافون] وایضا [فلاتخشوہم واخشون] وفی ذلک آیات کثیرۃ واما الثانی
فبالنزوع عما تلتذ بہ النفس وتحبہ فی ہذہ الحیوۃ الدنیویۃ ولذلک ثلث مدارج
الاولی بذل النفس فی سبیل الرب واکبرمنہ ذبح فلذۃ الکبد ولذلک ابتلی
ابراہیم بذبح بکرہ واحب اولادہ وہو اسمعیل علیہ السلام فانہ لما بشر باسحق
قال "لیحیی اسمعیل" قولا مفصحا عن غایۃ حبہ لہ ۔ والثانیۃ تحمل المشاق والاذی فی

طاعة الرب وترک اللذائذ فان ذلک احب الی النفس بعد الحیوة ومن ہذا الباب الصوم وہذہ الدرجة الثانیة نہایة الضعفاء من باب النحر ولذلک حین سئل المسیح علیہ السلام عن اکبر الدرجات فقال لایحصل ذلک الا بالصلوة والصوم. والثالثة بذل المال الذی ہو مفتاح الملاذ. والزکوة من ہذا الباب فاما الانفاق فی سبیل الخیر بما یزید علی الزکوة المفروضة ففیہ ایضا ابطال آلة الکبر. ولما کان المقصود من ذبح البہیمة فطام النفس عما یعبدہ للذتہ لزمہ ان یکون مما تحبہ النفس فلذلک قال تعالی [لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون] وہکذا امر تبیین الاضاحی وبین حقیقة ذلک حین ابتلی ابراہیم بذبح احب خلق عندہ. ولما کان بذل المہج ہو کمال ہذا الذبح جعل اہراق الدم امارتہ. فتبین مما ذکرنا ان الصلوة والنحر طرفان لذبح النفس والی ذلک یشیر ما جاء فی الحدیث "قربان ہذہ الامة بدماہنا وصلوتہا" ای ببذل مہجہم وصلوتہم.

والوجه الرابع ان الصلوة والنحر یتضمن احدہما الآخر فالصلوة من وجہ نحر والنحر صلوة. اما کون الصلوة نحرا فقد تبین مما ذکرنا من کونہا ذبح البہیمة ثم ہی ایضا تحمل النفس مشتہاہا وتکفہا عن لذتہا ورتعہا فذلک من ذبح البہیمة. واما کون النحر صلوة فقد مران حقیقة النحر ہی بذل النفس فی سبیل اللہ ولا یخفی انہ صلوة فی صورة اخرے فان بذل المہجة فی سبیل الرب اقرار وتصدیق بالایمان ولذلک سمی شہادة و ایضا ہو غایة الخضوع والطاعة فتضمن اوفی حظ من الصلوة اقرارا بالتوحید وخضوعا للرب. ثم جعل للضحیة من الآداب ما یدل علی کونہا صلوة وذلک امور: الذبح بالمصلی وبدؤہ ببسم اللہ واللہ اکبر وتوجیہ القربان والمقرب الی القبلة ورعایة القیام فی البدن والسجود فی الکباش. وقراءة دعاء افتتاح الصلوة کما جاء فی القرآن [انی وجہت وجہی للذی فطر السموات والارض حنیفا وما انا من المشرکین]

وایضا [ان صلوتی ونسکی ومحیای ومماتی للہ رب العلمین . لاشریک لہ] وقد نبہنا القرآن علی ہذا الامر فقد ذکر فی قصۃ تضحیۃ ابراہیم [فلما اسلما وتلہ للجبین] ای توجہا الی الرب ظاہرا وباطنا ثم جلہ ساجدا وکذلک ذکر فی امر النحر [والبدن جعلنہا لکم من شعائر اللہ لکم فیہا خیر . فاذکروا اسم اللہ علیہا صواف] ای قیاما کما تصطفون فی الصلوۃ . وکذلک ذکر فی امر الزکوۃ التی ہی من ابواب التضحیۃ کما [ویؤتون الزکوۃ وہم رٰکعون] ای یعطون بہیأۃ تظہر خشوعہم لا کمن یعطی ریاء وسمعۃ وفخرا .

والوجہ الخامس ان الصلوۃ والنحر کلیہما ذکر اللہ تعالیٰ اما الصلوۃ فظاہر انہا للذکر کما جاء فی کثیر من الآیات مثلا [واقم الصلوۃ لذکری] ایضا [وذکر اسم ربہ فصلی] . واما کون النحر ذکرا فایضا دل علیہ القرآن حیث قال [ویذکروا اسم اللہ علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] وایضا [کذلک سخرہا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم] ای ہداکم الی دین التوحید والاسلام . فکما تذکر اللہ بالتکبیر فی الصلوۃ فکذلک عند النسک .

والوجہ السادس ان کلیہما شکر اما الصلوۃ فکونہا شکرا ظاہر حتی عبر عنہا بہ کما قال تعالیٰ [فاذکرونی اذکرکم واشکروا لی ولا تکفرون] ومعظم الصلوۃ قرأۃ سورۃ الفاتحۃ وبناؤہا علی الشکر . واما النحر فانا نعلم ان اللہ سبحانہ وتعالی غنی عن العالمین [وہو یطعم ولا یطعم] وانما نتقرب الیہ مما انعم بہ اعترافا بان ما عندنا ملکہ ونعمتہ ولذلک نقول عند التضحیۃ « منک ولک » ولذلک قال تعالیٰ [کذلک سخرنہا لکم لعلکم تشکرون] وکما ان الصلوۃ شکر عام علی جمیع نعمہ الظاہرۃ والباطنۃ فکذلک الذبح لیس شکرا علی ما رزقنا من المنافع الدنیویۃ بل علی ما ہدانا الی دین الاسلام ووفقنا لطاعتہ ولذلک قال [لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم]

والوجہ السابع انہما کلیہما من التقوی اما الصلوۃ فان العبد لا یزال بذکرہا تعلق

به رجاؤه وخوفه والصلوة بهذا الذکر فیتضرع العبد ویتخشع لما یبغی رضی ربه ویخاف سخط
والی هذا یشیر قوله تعالیٰ [وان اقیموا الصلوة واتقوه وهو الذی الیه تحشرون] واما
کون التضحیة من التقوی فذلک انّ تسلّط الانسان علی البهائم اشبه شئ بالتعبید
فوجب ان ینفی هذا التوهم بالتخشع والاقرار بالعبودیة وان النعمة والربوبیة والملک
لله تعالیٰ وصفة التقوی جماع هذه الامور فصارت سر التضحیة فالعبد فی الحقیقة یتقرب
الی ربه بالتقوی ولذلک لایتقبل التضحیة الابها کما قال تعالیٰ فی امر القربان [انما
یتقبل الله من المتقین] وایضاً فی الحج [وتزودوا فان خیر الزاد التقوی] وانما
سمی التقوی زادا لانها تبلغه منازل قرب الرب والتقریب للتقرب کما نذکره
فی الوجه الحادی عشر فلا بد فیه من زاد التقوی ۔

والوجه الثامن انها من منازل الآخرة فانّ الصلوة رجوع الی الله و
صورة لوقوفنا بین یدیه فی الحشر ففیها خلسة من المعاد فمن کان مصلیا کان ذاکرا
لرجوعه الی ربه وهذا نفهم من قوله تعالیٰ [وانها (ای الصلوة) لکبیرة الا علی الخشعین
الذین یظنون انهم ملقوا ربهم وانهم الیه راجعون] فمن علم بانه راجع الی ربه ومسئول
عن عمله رجع الیه وتاب غشیته هیأة الخشوع والوقوف فی الآخرة کما قال تعالیٰ
[قلوب یومئذ واجفة ابصارها خاشعة] وقال تعالیٰ [قد افلح المومنون الذین هم
فی صلوتهم خاشعون] وایضا [رجال لاتلهیهم تجارة ولا بیع عن ذکر الله واقام
الصلوة وایتاء الزکوة یخافون یوما تتقلب فیه القلوب والابصار] ویشبه
قوله تعالیٰ [ان الانسان لیطغیٰ ان رآه استغنیٰ، ان الی ربک الرجعیٰ
(ای کیف یستغنی وهو محضر) ارایت الذی ینهی عبدا اذا صلی] ثم علمنا
القرآن انا نستجیب دعوة الرب فنخرج من القبور حامدین لله کما قال تعالیٰ
[یوم یدعوکم فتستجیبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قلیلا] فهکذا المصلون یستجیبون ان

دعوة الصلوٰة ويصفون لله حامدين ـ واما النحر فهو ايضاً رجوعنا الى الله كما مر فى الوجه الثانى والثالث و الآن ننظر اليه من وجه آخر و ذلك ان اجسامنا سخرت لنا كالبهائم فهى الركوب والرفق الى اجل مسمى ثم ترجع الى الرب فهى كما قال تعالى فى امر البهائم [لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق] وايضاً كما نسوق البدن الى ذلك البيت نسوق ابداننا اليه كما قال تعالى [واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق] وكما نحرم الهدايا ونجعل لها شعائر فكذلك نفعل باجسامنا وانما لا ننحر جسومنا فانا نفديها بالبدن كما فدى اسمعيل بما ذبح عوضا منه ولكن الله تقبل هدية خليله بما اتخذ اسمعيل خادما لبيته فكذلك نفدى اجسامنا ولكن لا ترد الينا بل ناخذها امانة فنبذلها ونهريق مهجتها فى سبيل الله وقد نبهنا القرآن على هذا السر حيث قال [ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم] فاشترانا الله بمجرد بيعة الاسلام ونحضر على باب بيته لتجديد ذلك بمس حجر الاسود ونؤكد عهد ابراهيم واسمعيل وكوننا قرابين لله تعالى. ثم اجتماعنا فى الحج اظهر تصوير لوقوفنا فى المحشر. فصلوتنا واجتماعنا لذكر الله والحج والنحر يشبه بعضها بعضا فى نسبتها بالمعاد.

والوجه التاسع انها من ابواب الصبر. اما الصلوٰة فلان العبد يداوم عليها مطمئناً بوعد الله كغارس يقوم على غرسه ليسقيه ويخدمه وينتظر ثمره وينظر رفاهية الغافلين فلا يهن ولا يكل بل لا يزال يقوم لربه ويحمده ويشكره ولا يبالى باستهزائهم برجائه لغائب البعيد فكل ذلك لشدة حزمه وصبره على العاقبة ولهذه الجهات جمع القرآن الصبر والصلوٰة فى آيات كثيرة كقوله تعالى [واستعينوا بالصبر والصلوٰة] ودل على

ماذکرنا آنفا قولہ تعالی [فاصبر علی ما یقولون وسبح بحمد ربک قبل طلوع الشمس وقبل غروبہا ومن آناء الیل فسبح واطراف النہار لعلک ترضی ، ولاتمدن عینیک الی ما متعنا بہ ازواجا منہم زہرة الحیوة الدنیا لنفتنہم فیہ ورزق ربک خیر وابقی، وامر اہلک بالصلوة واصطبر علیہا لانسئلک رزقا، نحن نرزقک . والعاقبة للتقوی] وایضاً [والذین صبروا ابتغاء وجہ ربہم واقاموا الصلوة] وایضاً [فاصبر ان وعد اللہ حق واستغفر لذنبک وسبح بحمد ربک بالعشی والابکار، ان الذین یجادلون فی آیات اللہ بغیر سلطن اتہم ان فی صدورہم الاکبر ما ہم ببالغیہ فاستعذ باللہ انہ ہو السمیع البصیر] فنبہنا علی موضع الصبر من التمسک بالوعد والتوکل علی الرب وتحمل الاذی وانتظار الفلاح . وآما النحر فہو مبنی علی تعلیم الصبر العظیم الذی ظہر من ابراہیم علیہ السلام فانہ رضی بربہ وفضلہ ولم یُعط ولداحتی کبر ثم لما اعطاہ اللہ الولد وجعلہ قرة عینہ نظرة ولخائل حسناتہ ابتلاہ بذبحہ فما تزعزعت قدم صبرہ بل شکر للرب لما طلب منہ احب خلق عندہ . فصبرنا علی الصلوة کصبرنا عند احتمال کل مصیبة . وقد دل علی ہذا الربط بین الصلوة والصبر عند احتمال ما یبتلی اللہ بہ عبادہ من اہانة النفس وما دونہا قولہ تعالی [یاایہا الذین آمنوا استعینوا بالصبر والصلوة، ان اللہ مع الصابرین . ولاتقولوا لمن یقتل فی سبیل اللہ اموات بل احیاء ولکن لاتشعرون . ولنبلونکم بشیٔ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر الصبرین الذین اذا اصابتہم مصیبة قالوا انا للہ وانا الیہ راجعون . اولئک علیہم صلوات من ربہم ورحمة، واولئک ہم المہتدون . ان الصفا والمروة (المروة ہی محل تقریب ابراہیم ابنہ کما بیناہ تحت ہذہ الآیة فی محلہا) من شعائر اللہ فمن حج البیت او اعتمر فلا جناح علیہ ان یطوف بہما ومن تطوع خیرا فان اللہ شاکر علیم] فجمع فی ہذا الکلام الصلوة والصبر والجہاد والمصائب والذبح

ابراہیم علیہ السلام لما فیہا من الربط الحقیقی.

والوجه العاشر اقرار الملک والتعبد وہذا فی الصلوٰۃ ظاہر فانہا بنیت علی اقرار الشکر والربوبیۃ واما التضحیۃ فہی اقرار بذلک بلسان الحال کانا نقول ان الملک والنعمۃ للہ تعالیٰ نفوسنا واموالنا کلہا للہ فلا بد ان نفوضہا الیہ ونحبسہا لطاعتہ وناخذ منہا علی سبیل الہبۃ منہ تعالیٰ فنفر بہا حیث ما امرنا ولا نشرک فیہا احدا. فنعبدہ ونصلی ونقدم الیہ ما اعطانا فانہ ہو الخالق والواہب کما ہذا انا نقول [انا للہ وانا الیہ راجعون] ای نحن ومالنا للہ فلہ الحکم والمنۃ. ولنا الخضوع والشکر والیہ نرجع کما یرجع الاموال الی مالکہ. ولذلک لا یحل لنا التمتع بشئ حتی بانفسنا الا بذکر اسمہ والاقرار بکونہ عطیۃ من اللہ. وتعلیما لہذا الاصل العظیم جعل علینا فریضۃ النسک لنذکر اسمہ علی ما رزقنا من الانعام مسخرۃ لنا کما قال تعالیٰ [ولکل امۃ جعلنا منسکا لیذکروا اسم اللہ علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] وایضا [کذلک سخرہا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم] ولکون التصرف فی الحیوانات شبہا بتعبیدہم فرض ذکر اسمہ فی الذبائح وکذلک کل ما اخرج لنا من الارض جعل فیہ حقا لکیلا نغفل عن کونہ من نعم اللہ کما قال تعالیٰ [کلوا من ثمرہ اذا اثمر وآتوا حقہ یوم حصادہ] ولذلک حرم علینا الاسراف فان کل ما فی ایدینا لربنا ولذلک جعل النسک مبنیا علی سنۃ ابراہیم الذی شہد بکون الملک للہ فادی الی الرب امانتہ وصدق بان کل ما عندہ حتی نفسہ وولدہ فہو من الرب تعالیٰ.

والوجه الحادی عشر ان العبد یتقرب بہا الی الرب. وذلک ظاہر جدا فان الصلوٰۃ من اظہر امورہا انہا توجہ الی الرب ورجوع الی حضرتہ فالمصلی یری نفسہ متمثلا بین یدی الرب یناجیہ ویخاطبہ ویتضرع الیہ ولا یلتفت یمینا وشمالا فلیس ان الصلوٰۃ ذریعۃ التقرب بل ہی عین التقرب. ودل علی ذلک

قوله تعالیٰ [واسجد واقترب] ولذلک صارت راس العبادات ۔ و أری ان الصلوۃ فی اصل معناہا القربۃ القریبۃ و الاقبال علی الشئ و الدخول فیہ ۔ فیقال للفرس المتصل بالسابق المصلی وللجالس حول النار یقربہا الصالی و کذلک لمن دخل فی حربا ۔ وہکذا الامر فی القربان فان المتقرب یاتی بقربانہ الی موضع یری ان الرب قدسہ و اختصہ لعبادتہ ولذلک کان للقربان موضع خاص ۔ لایحل فی شریعۃ الیہود ان یقربوا فی غیر بیت المقدس ؛ اما المسلمون فکما جعلت لہم الارض کلہا مسجدا فکذلک یحل لہم التضحیۃ فی کل مکان ۔ و مع ذلک کما ان للصلوۃ فی المسجد فضلا فکذلک فضلا للنسک فی المصلی ۔ وقد جعل اللہ لقربان ابراہیم مکانا خاصا و ابقاہ لنا سنۃ فنہدی البدن الی منحرہ کما ناتی مسجدہ الذی بناہ للصلوۃ وکل ذلک لیرسخ فی قلوبنا انا کالعبید نسعی الی المولیٰ ملتمین دعوتہ مقربین قرابیننا کلہا لمرضاتہ واقرارا لعبودیتنا لہ ۔ ولذلک سمی القربان قربانا کما سمیت الصلوۃ صلوۃ ۔ والی ہذا الذی ذکرنا المارع فیما قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم ،، سمنوا ضحایاکم فانہا مطایاکم،، وبذلک دل ایضا علی ان تقریب الابل مما یختص بہم راجع الفصل الثانی ۔

والوجہ الثانی عشر ان الصلوۃ و النحر اعظم طرق العبادات و اقدمہا وارسخہا فی فطرۃ الناس ۔ فتری السجود والرکوع وتقدیم النذور لاظہار التعبد فی کل ملۃ ونحلۃ سواء عبدو اللہ او احدا و الہۃ متعددۃ او روحا او صنما او عظموا انسانا کالہ معبود ۔ لاشک ان بین الاقوام المہذبۃ والوحشیۃ وبین اہل الحق و الباطل فرقا عظیما وکذلک بین صلوتہم ونسکہم بعدا شاسعا ولکن مع ذلک لکلہم نسکا وصلوۃ ما وہذا کما انہم مختلفون فی مفہوم الالہ مع اتفاقہم فی امر عام من مفہوم المعبود ولا تری ہذا الاتفاق بینہم فی سائر العبادات ۔ وقد مر فی الوجہ الاول ان الایمان والاسلام لیان جمیع الخلق ۔ ان الصلوۃ والنسک صورتان لہما

فالآن ترى ان الناس انبعثوا من نقطة واحدة في الدين والعبادة وانما تشعبت بهم الطرق لدخول الظنون والاهواء فاختلفوا بافراط وتفريط وافساد وتخليط .

(تفصيل لما ذكرنا من اختصاصنا بهذا العطاء والامر بالصلوة والنحر معا)

١١ - قد علمنا ان للصلوة تقدما على النحر كتقدمها على سائر العبادات ولذلك قدمها الله في الذكر ومن تامل فيما ذكرنا من وجوه المناسبة بينهما تبين ذلك وايضا تبين رفيع محلها فلا حاجة الى اعادة ما سبق ولكن بقي لنا ما دل عليه اختصاصنا الكوثر والامر بالصلوة والنحر معا وذلك ثلاثة امور الاول فضيلة هذه الملة على سائر الملل والثاني انحصار توبة اليهود والنصارى في قبول هذه الملة والثالث كون المسلمين لا غيرهم ورثة ابراهيم عليه السلام. واما بيان هذه الامور فاعلم ان اهراق الدم كان هو طريق التقرب الى الله في الاديان القديمة وكان بمنزلة الصلوة لهم والى هذا مالت اليهود فلم يذكروا الصلوة اصلا او ذكروها العموم بالكناية فقط وذلك لان طرف العقل كان غير بالغ فيهم حتى يكفيهم محض التوجه بالقلب. فتقديم الصلوة وجعلها مخ الدين دليل على عروج الديانة ولكن الطباع متفاوتة فطرة حتى ان قوما ولو بلغوا ذروة الحكمة توجد فيهم افراد كثيرة على ابتداء المدارج فمع الزام الصلوة وتكثيرها لم يبطل الاسلام الذبح بالكلية حتى انه لم يبطل ايضا طرق الاولين الذين جعلوا الديانة محض ربانية فابقاها الاسلام في الحج. فان صح ذلك رأيت دين النصارى على طرف مقابل لليهود. فان لهم صلوة فقط ولا نسك. وليس لهم ان يدعوا بلوغ كمال الديانة فان الكمال هو الوسط ولا خير في الغلو ولذلك تراهم اوقعهم هذا الغلو حيث صاروا اسفل من اليهود ايضا في معظم امر الدين وهو الايمان كما ان اليهود دونهم في الاعمال. فلهذه رعاية الوسط ووضع كل شيء محله ترى الصلوة اكثر شيء ذكرا في القرآن ولا تجد كلمة النحر الا في هذه السورة ولم يذكر التضحية الا تبعا في مواضع

معدودة . فما جمع الله لنا الصلوة والتحرو بها دل على سرها وموضعها ومقدارها اعطانا من
العلم ما نستدل به على فضيلة هذه الشريعة الجامعة على الملل السابقة . اما المشركون
والملاحدة فلا صلوا لله ولا تقربوا . واما النصارى واليهود فليس انهما تركا واحدا
فقط بل افضى امرهما الى تمام الحرمان لما انهما بقيا على ملة كانت لاجل معدود . وبيان
ذلك ان دين النصارى كان دين التجرد والخمول واشتغال كل امرء
بخويصاه . فلم يعطوا الجهاد واقنعوا بالصلوة والصوم والزكوة وامروا بان يخفوها
فمع كون ذلك اصلح لتربيتهم لم تتبين فرائضهم وسننهم فماتت حتى انهم ضيعوا كلها
فاتامرهم هذه الاناجيل بصوم ولا صلوة بل يصرح بانها مستحبات فقط وخلاف
ذلك تامرهم بترك التدبير والكسب والانتصار . واذ ضيعوا قسطا مما اعطوا [ونسوا
حظا مما ذكروا به] نفثت في مكانه بدعاتهم المتكاثفة فزعموا ان النسك انما رفع عنهم
لان المسيح صار لهم قربانا وزعموا انهما وجدوا في شريعة اليهود ان لا سبيل
الى كفارة ذنب من غير اهراق دم فزعموا بان المسيح كفر عنهم فلزمهم احد الامرين
وكلاهما اشنع من الاخر . وذلك اما ان يقولوا بان المسيح كفر ايضا ذنوبهم المستقبلة
وقد ذهب اليه طائفة فزعموا ان الايمان بالمسيح يكفي للنجاة وذلك اشنع اجاد
واما ان يقولوا ان الذنوب المستقبلة لا مغفرة لها وقد ذهب اليه طائفة و
اعتقد به امام هؤلاء النصارى بولص وذلك اشنع بكثير من شناعة المعتزلة
الذين غلوا في خلاف الارجاء ذلك . واما اليهود فعندهم التصريح بامرين الاول
ان لا مغفرة الا التضحية والثاني ان التضحية لا تصح الا في هيكلهم وقد اخرجه الله عن ايديهم .
فقد غلق عليهم شريعتهم باب التوبة غير ان يومنوا بالنبي الموعود الذي وكل
رجاؤهم اليه وعرفه لهم انبياؤهم . وقد حكى القرآن هذا الوعد الالهي عند ذكر تقصير
اليهود عن تحمل الشريعة الكاملة واستغفار موسى لهم فقال تعالى [قال عذابي

اصیب بہ من اشاء ورحمتی وسعت کل شیء فسأکتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوٰۃ و
الذین ہم بآیاتنا یومنون ۔ الذین یتبعون الرسول النبی الامی الذی یجدونہ مکتوبا
عندہم فی التوراۃ والانجیل] ومما ذکرنا یتبین لک ان ہذہ الآیۃ الواحدۃ بکلماتہا
الثلث تربو علی جمیع الادیان فان وضعت الیہودیۃ والنصرانیۃ فی کفۃ وہذہ الآیۃ فی
کفۃ آخری لترجحت علی الیہودیا ولہا وعلی النصرانیۃ بآخرہا وعلی سائر الادیان بوسطہا
لکون قرابینہم لغیر اللہ ولانکارہم بکون اللہ ربہم فانہم اتخذوا لہم اربابا دون اللہ
الاعلی الاکبر ۔ ومع ذلک دلت بنظمہا علی احسن طریق للدیانۃ والسلوک الی
الرب وہو ذکر الرب والتوجہ الیہ فی کل حال وبکل صورۃ وعلی قدر یناسب الاحوال
والازمنۃ ۔

ولما اورث الدنیہ واتباعہ وراثۃ ابراہیمؑ وقطع عن ہذہ الوراثۃ الخاصۃ الیہود و
النصاری امرہم بالخص ہذہ الامۃ من الصلوۃ والنحر ۔ فان ابراہیمؑ بنی مسجدا
لا مذبحا کما ہو ظاہر وکما قال تعالی [طہرا بیتی للطائفین والعاکفین والرکع السجود]
فالصلوۃ ہی الغایۃ الاصلیۃ ۔ واما النحر فجعلہ تذکار الاسلامہ واسلام ابنہ
اسمعیلؑ فجعل موضعہ المروۃ التی قرب علیہا ابنہ البکر ثم ابقاہ سنۃ لاطعام
الحجاج لبیت الرب ومع ان عبادۃ الیہودیۃ انحصرت فی التضحیۃ لم یجعلوہا
الا عبادۃ ظاہرۃ خالیۃ عن الحقائق والاشارات التی ہدانا القرآن الیہا و
لیس عندہم اثرا ولا قول ما یدل علی ان ذبحہم تذکار لذبح اسحق ثم کتابہم
نفسہ یبطل دعواہم من وجوہ کما ہو مبسوط فی موضعہ ۔ ولما کان الامر ہکذا
حسن اختیار کلمۃ النحر الذی یدل علی ذبح الابل التی کانت محرمۃ علی الیہود
خاصۃ وتفصیل ہذا البحث موکول الی تفسیر سورۃ البقرۃ وآل عمران ۔ فنحر
الابل لیس فیہ نصیب للیہود فہذہ اضحیۃ ابراہیمیۃ مخصوصۃ باولاد اسمعیل بیت اللہ

الذی اسکن عنده ہذه الذریة -

(فی تاویل کلمتین "شانئک" و "الابتر")

۱۲- قبل تاویل الآیة الاخیرة تنظر فی کلمتین شانئک و الابتر اما الشانی فلکونه مضافا الی المعرفة صار معرفة ولا یلزم المعرفة ان یکون معینا ولکن بعض المفسرین حاولوا التعیین واستنبطوه من طریق النظر فی اسباب الامور فاختلفت اقوالهم فیه کما یقع کثیرا فی مثل ذلک فروی عن ابن عباس وسعید بن جبیر ومجاہد وقتادة انه العاص بن وائل وذلک لانه قال انا شانئ محمد. وروی عن شمر بن عطیه انه عقبة بن ابی معیط لما انه کان یقول انه لایبقی للنبی ولد وہو ابتر. وروی عن ابن عباس وعکرمة مایدل علی ان المراد به قریش. فنقول ان ہذا الاسم وان کان فی نفس الامر اولی برجل مخصوص وکان ہو اول داخل فی مصداق الآیة ولکن اذ لم یرد الله تفضیه بالتصریح سکتنا عن تسمیته. وہذا بفرض ارادة المعین ولکنها غیر لازمة کما مر. ولا شک ان اسلم الطرق ان نضع زمام الاستنباط فی ید القرآن فنتوجه حیث یتوجہ نصه واقتضاؤه ونظمه وسیاقه. وقد رأینا فی السورة السابقة ان سمت الکلام الی قریش الذین کانوا اولیاء بیت الرب وقد خانوا فی امانتہم. ثم نجد الروایة المؤیدة لذلک اوثقہا. ثم دلت الحالات علی کون قریش اولی بہذا الاسم. ثم ذلک ہو المقتضی للکلام السابق حسبما بیّنا من تاویله. وبناء علی ماذکرنا من الوجوه ینبغی ان یراد به اوّلا وبالذات قریش ثم یراد به کل من کان متصفا به. فان خصوصیات موقع النزول لا تمنع الکلام عن سعة معناه الذی دل علیه. فہذا جملة القول فی ہذه الکلمة وسیاتیک لہا مزید بیان اذ استشہدنا فی تفسیر الآیة ان شاء الله تعالی.

واما الابتر فمعلوم انه صفة من البتر وهو القطع وللكلمة استعمالات شتى والنظر فيها يعينك على استنباط المعنى المراد وههنا فنذكر استعمال هذه المادة حسب ترتيب معانيها يقال سيف باتر اى قاطع وبتار قطاع. بتر فلان رحمها قطعها الاباتر قاطع الرحم. ابتر الرجل اذا اعطى ثم منع. الخطبة البتراء القاطعة. فى حديث الضحايا انه نهى عن المبتورة وهى ما قطع ذنبها. الابتر من الحيات نوع منها قصير الذنب. الابتر من لاعقب له. فى الحديث كل امر ذى بال لم يبدء ببسم الله فهو ابتر. الخطبة التى لم تبدء بذكر الله والصلوة على رسوله سميت بتراء. الابتر ما لا عروة له من المزاد والدلاء. الابتران العير والعبد. البتيراء الشمس اذا بهرت وذهبت قرونها ونبلها فالنظر فى هذه الانحاء يدلنا على ان الابتر هو المقطوع عما يقومه ويمده حتى ان الشمس اذا بهرت ذهبت عنها نبلها وانجردت قرصا صغيرا سميت بتيراء. وكذلك من بتر رحمه وانقطع عن عصبته وانصاره سمى ابتر ولذلك سموا العير والعبد الابترين لقلة ناصرهما. وعلى هذا الاصل قال قتادة فى تفسير هذه الآية "الابتر الحقير الدقيق الذليل". فتبين ان معنى هذه الكلمة تدرج من المقطوع الى الصغير القصير والى المخذول الحقير. هذا والآن نتوجه الى تاويل الآية بعون الله تعالى.

(تاويل قوله تعالى "اِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْاَبْتَرُ")

١٣- لايخفى ان قوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] جواب ورد على من طعن فى النبى انه ابتر وهكذا فهمه المفسرون. واما مراد الطاعن بقوله هذا فيقتضى تفصيلا. فاعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هاجر الى المدينة ظن قريش انه بتر رحمه، وترك اكرم بيت العرب، وحرم ماكان له من شرف ولاية الكعبة

وجواره فصار بزعمهم كشجر تقطع عن اصله فيوشك ان يضمحل امره ويتضاءل قدره فبشره الله بالبركة والكثرة والفتح والنصرة، وانه باطل ما زعم عدوه بل هو المقطوع المخذول. ولما كان هذا الكلام ردا لزعمهم كان فيه تعريض الى ان عدوه هو يسلب الشرف الذي يتباهى به فصار اخبارا بفتح مكة. وهذا المعنى الذي هو ظاهر من جهة اللغة ونظم الكلام يؤيده ما جاء في الاخبار. قال السيوطي رح " اخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش انت سيدهم الا ترى الى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه. فنزلت ان شانئك هو الابتر. واخرج ابن ابي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال لما اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش بتر محمد منا فنزلت " ان شانئك هو الابتر"، واخرج احمد وغيره عن ابن عباس مثل ذلك. واخرج ابن جرير عن ابن بشار قال حدثنا ابن ابي عدي انبانا داؤد بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة اتوه فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا. قال بل انتم خير منه فنزلت عليه " ان شانئك هو الابتر"، قال وانزلت عليه " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا " وهكذا في حديث آخر عن عكرمة غير ان فيه " ونحن اهل الحجيج وعندنا منحر البدن" والمعنى واحد فانهم افتخروا بشرف منبتهم وطيب مغرسهم عند البيت المبارك وبان فيهم خدمة البيت وعبد النحر من لدن ابراهيمؑ اصل البركات وسياتي بيانه

في الفصل ... فزعموا ان المنقطع عنهم كالصنوبر المنقطع لاتطول مدة بقائه وكانوا مطمئنين بهذا الظن الباطل معتمدين على قول رئيس اليهود حتى ازال الله عنهم الغطاء حين علموا انهم هم المخذولون المقطوعون وقد وقع ذلك الوعد حين نزلت سورة البرأة بقطع كل مشرك عن المسجد الحرام. ذلك ونذكر بعض مادل عليه هذه الآية في الفصل الخامس عشر.

(موقع نزول السورة ودلالتها على انها بشارة بفتح مكة)

٤١ - تقدم في الفصول الاول ان السورة بشارة بفتح مكة وان استعمال الماضي في قوله تعالى [انا اعطينك] يدل على انجاز وعد الفتح الذي قرب. فانا نرى في القرآن آيات يامر الله فيها نبيه للصبر والانتظار وان الله سينصره وفي كل ذلك ابهام مثلا قوله تعالى [اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وايضا [فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون. او نرينك الذي وعدنهم فانا عليهم مقتدرون] فلم يتبين للنبي هل يكون حاله كحال عيسىؑ توفاه الله قبل النصر او كحال نوحؑ اراه الله النصر العظيم او كحال ابراهيمؑ وموسىؑ اراهما الله طرفا من الفتح والبركة ووعد اتمامها عند ظهور البعثة الاخيرة فكان النبي والمومنون في ظمأ الرجاء حتى اذا نزلت هذه السورة فلق لهم الصبح وجاءتهم تباشير الفتح. فلا نفهم من هذه السورة الا انها نزلت قبيل فتح مكة او عند فتحها الاول. وهو موادعة قريش عند الحديبية. ويؤيد ذلك ما جاءنا من طريق الروايات قال ابن جرير رحمه الله "حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرني ابو صخر قال حدثني ابو معاوية البجلي عن سعيد بن جبير انه قال كانت هذه الآية يعني قوله [فصل لربك وانحر] يوم الحديبية اتاه جبريل عليه السلام فقال انحر وارجع

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف الى البدن فنحرها فذلك حين يقول [فصل لربك وانحر] قال السيوطي رحمه الله بعد ذكر هذا الحديث "قلت فيه غرابة شديدة" ولم يذكر وجه شدة الغرابة اعتمادا منه على ظهورها لما توهم رحمه الله ان هذا القول يخالف الامر المشهور من وجوه مختلفة ولكنها وجوه ناشئة من التوهم زائلة بعد التأمل الصحيح فلنذكرها مع التنبيه على ضعفها ليتضح الحق الصريح: **فالاول** ان السورة مكية ويوم الحديبية كان بعد الهجرة و يرتفع هذا الوهم ان السور التي نزلت بعد الهجرة عند مكة ايضا تسمى مكية كما صرح به العلماء، والحديبية بقرب مكة فان بينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين مدينة تسع مراحل. وهي من الحرم. **والثاني** ان يوم الحديبية كان بعد مضي خمس سنين وعشرة اشهر من الهجرة وقتل كعب بن الاشرف في السنة الثالثة وقد روي ان قوله [ان شانئك هو الابتر] كان في الذين سألوا كعبا ايهم خير ام هذا النبي كما مر في الفصل السابق فكيف يصح ان السورة نزلت في يوم الحديبية. ويرتفع هذا الوهم ان قولهم نزل في كذا لا يدل على الوقت بل على مطابقة الآية بحال خاص فقوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] ناظر الى كل من كان شانئا له سواء فيه من مضى ومن ياتي الى يوم القيامة. وحين نزلت هذه الآية كان اعداؤه الذين ماتوا بالذلة والهوان مثالا لمن بقي ولم تنفك قريش بعد مكالمتهم كعب موقنين بكون النبي كما قال ذلك الفاسق حتى جاء الفتح وتبين ان اعداء النبي هم المخذولون فمن قال ان آية [ان شانئك هو الابتر] في قريش الذين زعموا الكعب ما زعموا انما ذكر مطابقة هذه الآية بحالهم لان الله تعالى رد عليهم طعنهم من غير مهلة. **والثالث** ان الآية الاخيرة ناظرة الى عقبة بن ابي معيط لطعنه في النبي بانه لا يبقى له ولد ومواساته . وعقبة [illegible]

بدر، وقتل فيمن قتل من الاسارىٰ. وبه يرتفع هذا الوهم بما ارتفع به الوجه الثانى.

مع ان الآية لا نرى تاويلها الى هذا الظن. ولا نرى ان الابتر ههنا لمن لا عقب له

لسخافة هذا التاويل وبعده عن النظم وضعفه من جهة الرواية ايضا. فارتفعت

الغرابة عن قول سعيد بن جبير. وتبين صوابه. ثم يوافقه ما روى عن محمد بن كعب

القرظى فى تفسير الآيتين السابقتين حيث يقول «ان اناسا كانوا يصلون

وينحرون لغير الله فاذا اعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلوتك ونحرك الّا لى»

فكانه بهذا القول بيّن ان قريشا شقوا بهذا الكوثر بانهم لم يودوا حقه فنزعه عنهم و

نعطيكه فاذا اعطيناك وقد اعطيناك فادّ حقه. ولا يخفى ان الامر بامتثال حكم متفرع

على واقعة يدل على ان الواقعة قد وقعت او سيقع كما قال تعالىٰ [اذا جاء نصر الله

والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و

استغفره] فلم يفهموا من ذلك الا انها نزلت عند الفتح وعند دخول الناس

فى دين الله افواجا. فهكذا نفهم من قول محمد بن كعب رحمه الله «اذا اعطيناك

الكوثر» الخ اى قد اعطيت وقرب ظهوره.

(النظر فى السورة من حيث مجموعها)

۱۵ - ان صح عندك هذا التاويل الذى قدمنا ثم تاملت السورة بمجموعها ونظرت

فى حدود آياتها اطلعت بادى بدء على قضايا آتية. الاولى ان الله تعالىٰ

اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم وراثة ابراهيم واظهر فيه اجابة دعائه فجعل لها

ورثة من امته. والثانية انه قد سلب الله هذا العطاء كل خائن كفور فانه

ساخط بهم كما صرح به فى سورة الحج. والثالثة انه اذ ربط القطع عن هذا

العطاء بصفة خاصة دل على علته. فتبين. ان عداوة النبى تقطع عن بركة الله

والرابعة انه بما جعل هذا الحرمان مخصوصا باعدائه دل على ان الفائزين بوراثة هم احباؤه فحصلت لنا علامة بين اهل الحق والباطل والمتبعين لهدى الله وسنة رسوله والزائغين عنها فالابتر من هذه الوراثة داخل في شانئيه. والخامسة انه كما جعل الصلوٰة والنحر شعار احبائه جعل تركها شعار اعدائه من المشركين واليهود ومبتدعة النصارى والمبتدعة من هذه الامة. فمنهم من يستخف بالصلوٰة، ومنهم من يستخف بالحج، ومنهم من تسلل عن كل ذلك. فالمضيعون للصلوٰة والنحر والحج هم الاعداء للنبيّ والمقطوعون عن وراثته والمخذولون كاليهود والنصارى ولكن في الاسلام بقية من اهل الحق والسنة ونرجو ان يكثرهم الله ويبعث منهم من يعز به الاسلام، وما ذلك على الله بعزيز وقد قال عز من قائل [وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم] وما ذكرنا قد تبين ان السورة بشارة بفتح مكة كما قدمنا في الفصول المتقدمة. وهي ايضا انذار لاعداء النبيّ بكونهم مقطوعين عن وراثة ابراهيمؑ. فاول السورة وآخرها جاء على اسلوب المقابلة ووسطها كالبرزخ بينها ناظرة اليها اي من قام بالتوحيد وصلى ونحر اعطى الكوثر، ومن خالف ذلك تبر عنه، فمثل السورة كميزان ذي كفتين ولسان، ففي كفة خير كثير فما اثقلها، وفي كفة تبر كبير فما اخفها فتوازنها كتوازن الوجود والعدم، وكما ان اللسان يتجه الى الجانب الثقيل فكذلك الآية الوسطى تتجه الى الآية الاولى، ولذلك وصلها بالفاء وجعل الآية الثالثة مفصولة، فدلت باسلوبها ايضا على قطع اعداء النبيّ عن الكوثر المخصوص باحبائه.

بشارة الرضوان لامته صلی الله علیه وسلم

۱۶ - قد سبق ان المراد بهذا الاعطاء هو الاعطاء العام للنبی و اتباعه کما ان الابتر عام لجمیع اعداء النبی واذا کان الامر کذلک فلم تکن هذه البشارة محض غلبة الاسلام علی الکفر بل کانت بشارة رحمة الله علی امة هذا النبی فی الدار الآخرة فعبر عن هذا الفتح باعطاء الکوثر ایاهم فی القیمة. فلما وقع ما بشرت به السورة ظهر انهم صدقوا الله و رسوله فاجتباهم، و امتحن قلوبهم فرضی عنهم و ارضاهم. وقد علمنا من تاریخ الانبیاء ومن تصریح القرآن ان اول النبوة زلازل وصبر وآخرها برکات و اجر فصار فتح مکة برهانا علی کونهم اولیاء نبیه وشهداء دینه وخلفاء ارضه فکان انجازاً لما وعدهم فی قوله [وعد الله الذین آمنوا منکم وعملوا الصلحت لیستخلفنهم فی الارض کما استخلف الذین من قبلهم ولیمکنن لهم دینهم الذی ارتضی لهم ولیبدلنهم من بعد خوفهم امنا یعبدوننی لا یشرکون بی شیئا، ومن کفر بعد ذلک فاولئک هم الفاسقون]. (فلبشر بانجاز هذا الوعد بقوله تعالی [انا اعطینک الکوثر] فتشابه القولان. ثم تجد التشابه فیما اتبعه قوله) واقیموا الصلوة وآتوا الزکوة (فان ذلک تشبه قوله تعالی [فصل لربک وانحر] و اطیعوا الرسول لعلکم ترحمون] وهذا یشبه قوله تعالی [ان شانئک هو الابتر] کما سیاتیک بیانه وکذلک سورة الفتح تمامها تخبرنا عما جعل الله لهذه الامة من الرحمة والسکینة والمغفرة والتمکن فی الارض المقدسة. وکذا جاء فی صحف الانبیاء لاسیما فی الزبور و امثال سلیمان. وقد اشار القرآن الیه حیث قال [ولقد کتبنا فی الزبور من بعد الذکر ان الارض یرثها عبادی الصالحون] ای الارض المقدسة التی هی مثال لارض الجنة. ومکة افضل هذه الارض و

واقدمها كما ذكرنا في تفسير سورة آل عمران وسورة الفيل. فمذ نزول هذه السورة جعل يتبين انجاز وعد الوراثة حتى اتمها الله فنزع الله تعالى ارضه المقدسة عن ايدي الكفار واورثها المسلمين وبذلك بشرهم بانهم عباده الصالحون ومصداق قوله [الذين آمنوا وعملوا الصلحت] وانه جعلهم خلفاء في الارض وارثين لها ومكن لهم دينهم ونفى عنهم الاعداء طرا. وبذلك صدق في هذا النبي ما بشر به موسى بني اسرائيل من ان النبي الموعود اذا جاء طهر الارض المقدسة عن الكفار ولم يصدق ذلك في احد ممن جاء من الانبياء والملوك في بني اسرائيل كما تشهد به ما بايديهم من صحفهم المقدسة. ولذلك كانت اليهود تنتظر لمن يطهر الارض المقدسة من الكفار كما قال تعالى [ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به] فهذه السورة اتت بان ظهور تلك البشارة حتى طهر الله الارض المقدسة عن اعدائه.

(برهان دائم متصل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم)

٢١ - قد مر ان السورة اعلنت بان بناء انقطع عن الكوثر هو شانئ النبي فصار اخبارا بامر متصل دائم. واذ ليس في حد بشر ان يبشر بدوام سلطنته على ارض وقطع عدوه عنها فان الدهر لا يبقى على حدثانه ملك ولا جيل فكم منهم طار ثم وقع والتقمه الدهر وابتلع. فهذه النبوة الصحيحة التي نزل بها القرآن مع كونها بشارة عظيمة صارت لنا برهانا دائما متصلا على صدق النبي، وذلك اقوى دلالة من نبوات قضت نحبها مثل ما جاء من نبوة عيسى عليه السلام [وانبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم] ومن نبوات منتظرة لم تقع الى الآن مثل نبوات

دانیال وحزقیل ۔ والنبوة المتصلة اخری لصاحب البعثة الباقیة فان الله تعالے لما جعله خاتم الانبیاء صدق فیه کثیرا من نبوات من قبله ومنحه حججا دائمة متصلة ومن عظم النبوة ان یکون خرقا للاسباب الظاهرة ۔ وقد مران السورة انزلت یوم الحدیبیة الذی کان الغلب الظاهر فیه للکفار کما یظهر من شرائط الصلح حتی ان بعض الصحابة اظهر للنبی کراهیة لماجری به الصلح ۔ وانکر بعضهم صورة الکتابة حین امره النبی بمحو بعض ما کتب ۔ فتبین ان هذه النبوة لم تکن مما یتوقع وینتظر من الاسباب الظاهرة ۔ وذلک مثل اخبار النبی بغلبة الروم بعد بضع سنین مع شدة دلالة الاسباب الظاهرة علی خلافه کما بیناه فی موضعه ۔ وقد ذکر موسی وعیسے علیهما السلام من خصائص هذا النبی انه یخبرهم عما یقع عن قریب حتی یعرفوا انه هو الموعود کما جاء فی التثنیة اصحاح ۱۸ "واقیم لهم نبیا وسط اخوتهم مثلک واجعل کلامی فی فمه فیکلمهم بکل ما اوصیه به ویکون ان الانسان الذی لا یسمع لکلامی الذی یتکلم به باسمی انا اطالبه واما النبی الذی یطغی فیتکلم باسمی کلاما لم اوصه ان یتکلم به او الذی یتکلم باسم آلهة اخری فیموت ذلک النبی وان قلت فی قلبک کیف نعرف الکلام الذی لم یتکلم به الرب فما تکلم به النبی باسم الرب ولم یحدث ولم یصر فهو الکلام الذی لم یتکلم به الرب بل بطغیان تکلم به النبی فلا تخف منه"، وکما جاء فی یوحنا اصحاح ۱۶ "واما متی جاء ذاک روح الحق فهو یرشدکم الی جمیع الحق لانه لا یتکلم من نفسه بل کل ما یسمع یتکلم به ویخبرکم بامور آتیة" فوقع فتح مکة بعد نزول هذه السورة بیسیر، ودامت واتصلت هذه النبوة فی حق المؤمنین الصالحین بشارة وفی حق اعداء النبی انذارا فجاءت هذه البشارة جامعة لوجوه من البرهان علی صدقه والحمد لله العلی الکبیر۔

(تصديق ما وعد الله ابراهيم من عموم البركة وفيه المشابهة بين ابراهيم ومحمد عليهما اتم الصلوات)

۱۸. قد تبين مما ذكرنا في الفصول السابقة ان الله تعالى اعطى الخير الكثير لنبينا و اجابه وقطع عنه اعداءه ففي ذلك تصديق لما وعد الله ابراهيم من ان جميع اهل الارض يباركون بنسله ويبارك الله مباركيه ويلعن لاعنيه فهذان امران والاول يضاهي قوله تعالى [انا اعطيناك الكوثر] والثاني يضاهي قوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] ففي كلا الامرين مشابهة عظيمة بين محمد وابراهيم عليهما الصلوات، وبيان ذلك ان الله تعالى قد قضى بحكمته ورحمته ان يجمع البركات مع ابراهيم عليه السلام فانه صار وارثا لها بعد نوح ع، كما قال تعالى [ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العلمين] فاصطفى الله تعالى آل ابراهيم فقط بعد نوح فان آل عمران ايضا من ذرية ابراهيم. ثم بوسيلة ابراهيم وعد الله شمول البركات جميع اهل الارض فقد جاء في سفر تكوين ص۱۲ "وقال الرب لابراهيم اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك فاجعلك امة عظيمة، واباركك واعظم اسمك وتكون بركة و ابارك مباركيك ولاعنك ألعن وتتبارك فيك جميع قبائل الارض،، و هذا في قصة هجرة الى موضع المروة التي قرب عليها ابنه اسمعيل عليه السلام فاشار الى ان عموم البركة يكون بذريته كما صرح به في موضع آخر فقد جاء في تكوين (۲۲: ۱۶-۱۸) "بذاتي اقسمت يقول الرب اني من اجل انك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك ۱۷ اباركك مباركة . . . ۱۸ "ويبارك في نسلك جميع امم الارض من اجل انك سمعت لقولي،، فصرح بان اصل البركة هو تقديمه

ابنه قربانا فمع ان البركة عمت ذرية من اسحق عليه السلام ايضا فان ينبوعها کان فی ذرية اسمعيل الذی قربه، ثم دل علی حقيقة ہذا السبب فی موضع آخر فقد جاء فی سفر تکوين ص۱۸ ،، وابراہيم يکون امة کبيرة وقوية ويتبارک به جميع امم الارض لانی عرفته لکی يوصی بنيه وبيته من بعده ان يحفظا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لکی ياتی الرب لابراہيم بماتکلم به: ای البرکة التی وعدہا لابراہيم عليه السلام فعلمنا ان حقيقة الدين الذی اعطی ابراہيم ہی البر والعدل والآن فانظر کيف صدّق الله ہذه الامور ببعثة نبينا صلی الله عليه وسلم فانه تعالی بعثه من ہذا الموضع الذی کان اصل البرکات ثم اعطاه اباه واورثه شريعة البر والعدل. فجعله وارثا لابراہيم عليهما الصلوٰت وصدّق فيه عموم البرکة جميع اہل الارض لما انه بعثه الکافة الناس کما قال تعالی [وما ارسلناک الا کافة للناس بشيرا ونذيرا] وايضا [وما ارسلناک الا رحمة للعلمين] فلما جعل الله نبوته شاملة لکافة اہل الارض جعل البرکة شاملة لاتباعه الذين يبارکونه وہم الذين يبارکون ابراہيم عليه الصلوٰت وفيه تصديق ما وعد ابراہيم ،،وابارک مبارکيک ،، وذلک بان المبارکة ہی دعاء البرکة والخير فی الاہل والذرية فمن بارک رجلا بارک ذريته ومن بارک ذرية رجل فقد بارکه بذلک فظہر من ذلک انا نبارک ابراہيم حين نصلی علی نبينا وکذالک نبارک ذرية محمد واہله حين نصلی عليه. ولذلک نقول فی الصلوٰة ،، اللّٰهم صل علی محمد وعلی آل محمد کما صليت علی ابراہيم وعلی آل ابراہيم ،، ای بما انک صليت علی ابراہيم وآل ابراہيم فصل علی محمد وآله انجاز الوعدک. ولانجد ہذا الامر بالمبارکة لغيرنا، فان الله تعالی امرنا بذلک فقال [ان الله وملٰئکته يصلون علی النبی ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] ولذلک نختم صلواتنا کلها بہذه المبارکة. واما اليهود والنصاری فلا يرون الصلوٰة فريضة، واذا صلوا فلا يبارکون فيه

على ابراهيم ولا على احد من ذريته فصارت المباركة شعار امة محمد صلى الله عليه وسلم لانا في تشهدنا نقوض الصلوات الطيبات الى الله تعالى ثم نسلم لها لجميع عباده الصالحين، ونذكر بالخصوص نبينا وابراهيم اعترافا لفضلهما علينا وذلك من البر والعدل الذين بها تنزل البركات كامر. ثم تبين تصديق عموم بركة هذه الشريعة ان الله تعالى امرنا بها بالبر والعدل لجميع الناس، فقد قال تعالى [لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم عن دياركم (اي الذين هم اعداء البر والعدل) ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين] وقال تعالى [يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى] وكذلك تجد العموم والتساوي بين جميع الناس في جزئيات احكام هذه الشريعة الكاملة كما هو مبسوط في موضعه، ولا يخفى ان الكعبة اقامها الله تعالى للبر والعدل لانها بنيت على التوحيد والذكر والشكر لله تعالى والمواساة بالناس وقد علمنا القرآن ان التوحيد راس العدل كما قال تعالى [ان الشرك لظلم عظيم] وقد بينا فيما مر ان الصلوة والنحر للتوحيد والذكر والشكر والمواساة فكل ذلك طرق البر والعدل، فهدانا من هذه الجهة ايضا الى ان الكعبة هي منبع البركات لكونها مركز التعليم البر والعدل، وكذلك رأينا في هذا الفصل ان الله تعالى بارك ابراهيم عليه الصلوات لسيد هذا البيت، فهذه الامور ايضا تدل على ان الكعبة هي ينبوع الكوثر، وهذا آخر ما تيسر لنا ذكره في تفسير هذه السورة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلوة على جميع عباده الصالحين

٭٭